بسم الله الرحمن الرحیم

نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة١)

عليرضا بناهيان

الزمان: شهر المحرّم ١٤٣٣

المكان: مهديّة طهران

الموضوع: نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة١)

إن نسبة العمل إلى الإيمان ليس من قبيل نسبة الفاكهة إلى الشجرة بل إنما هو من قبيل نسبة الأوراق إليها. انظر ما الذي اعتدت عليه؟ فإنك ستعشقه!/ من أين يجب أن نبدأ؟ من العلم أم من العمل؟

ربما نبالغ في الاهتمام بالعلم والإيمان، ولكن القرآن قد أكّد على العمل أكثر!/ لقد اشترطنا على أنفسنا أن لا نعمل صالحا إلا بعد ما بلغنا ذروة الإيمان والعشق؛ ولكنها رؤية خاطئة./ إن عدم الاكتراث بقيمة العمل بالقياس إلى العلم والإيمان يشكّل ثغرةً كبيرة في ثقافتنا الدينية./ لا يجوز أن نتّهم كلّ ذي نقص في عمله بنقص في إيمانه./ حسبنا ذرّة من العلم والإيمان، فبعد ذلك يجب أن نُقبل على العمل ونصلح السلوك./ القرآن هدىً للمتقين؛ وهم أهل مراقبة أعمالهم/ نحن ندع الصهاينة يخططون نمط سلوك أطفالنا ولعبهم، ولكن ما إن يحين دور السلوك الديني، نقول: «يجب أن نعلّم الأطفال أولا!»

إليكم أهم المقاطع من المجلس الأول من سلسلة محاضرات عليرضا بناهيان في جامعة الإمام الصادق(ع) تحت عنوان «نمط الحياة، أوقع تأثيرا من العلم والإيمان»:

إن عدم الاكتراث بقيمة العمل بالقياس إلى العلم والإيمان والحب وفكر الإنسان يشكّل ثغرة ثقافية كبيرة ولا سيما في ثقافتنا الدينية. نحن نزعم أن العمل ثمرة العلم والإيمان ونتيجتهما، فلابد أن نزيد من علمنا وإيماننا باستمرار لكي نجني هذه الثمرة. غير أنه ليس من الصواب أن نؤكد بلا انقطاع على زيادة الإيمان و الرغائب المعنوية بصفتها طريقا إلى العمل. نحن في هذا البحث بصدد الوقوف أمام هذا الخطأ الشايع والراسخ بين الناس. العمل بالطبع هو نتيجة الإيمان والعلم والرغبة؛ ولكن ليس ذلك مسوِّغا لاتهام كل ذي نقص في العمل بنقص في إيمانه، ومن ثَمّ نخطط لشحنه بالمعلومات بغية زيادة إيمانه ورغباته الجيّدة. ربما نبالغ في الاهتمام بالعلم؛ يعني نزعم أن مشاكل الإنسان تعالَج بتعليمه، أو نزعم أن العلم أكثر تأثيرا من العمل، أو أن التعليم هو أول ما يجب أن نبادر به دائما! ولكن ليس التعليم هو الخطوة الضرورية الأولى دائما، إذ ربما يقتضي استيعاب بعض المعلومات قابليةً، كما قد يقتضي الانتفاعُ بالمعلومات قابليةً أيضا، وإنما تحصل هذه القابلية بالعمل. الاهتمام المُفرِط بالإيمان والحبّ يعني أن نعمد إلى تعزيز إيماننا ورغباتنا من دون إصلاح سلوكنا ونوصّي غيرنا دائما بتصعيد الإيمان! هذا وأن الله قد أكد في القرآن على العمل أكثر ممّا أكد على زيادة الإيمان. كما أن القرآن لم يُكثر في استخدام كلمة «واعلموا» ولكن ما أكثر ما أمر بعملٍ ما

لقد جاء في القرآن كرارا «اتقوا الله» والمتقي هو من راقب عمله. ثم ذكر مصاديق ومفردات من الأعمال وقال افعلوا كذا... اعملوا كذا... إن اعتبرنا العملَ ثمرةَ الإيمان، عند ذلك لا نعمل إلا بعد ما غَمَرنا نشاطٌ واندفاع شديدان! فإن قيل: لماذا لا تصلي في أول وقتها؟ قلنا: «لستُ متحفّزا لذلك» فكأننا مترقبون أن نصبح كأحد العارفين الواصلين ونبلغ ذروة الإيمان والعشق، لنعمل بعد ذلك صالحا. هذه هي رؤيتنا العامة عن العمل ولكنّها خاطئة. إن نسبة العمل إلى الإيمان ليست من قبيل نسبة الفاكهة إلى الشجرة بل إنما هي من قبيل نسبة الأوراق والأغصان إليها. كما أن أوراق الشجرة تتلقّى الأكسيجين والنور ثمّ تقوم بتقوية جذور الشجرة عبر عمليّة التركيب الضوئي، كذلك العمل يؤول إلى تعزيز الإيمان. فبمجرّد أن أدّي نَزْرٌ يسيرٌ من الإيمان إلى العمل، تبدأ حركة الإنسان ثمّ يُصبح هذا العمل نفسُه سببا لتعزيز الإيمان. كم نحن بحاجة إلى المعلومات؟ لا نحتاج إلا قليلا! وكم نحن بحاجة إلى العمل؟ كثيرا! إذ أن العمل والسلوك أوقع تأثيرا في الإنسان من العلم. لأنه قد لا يرقى العلم إلى درجة التأثير، ولكنّ العمل مؤثّر قطعا. كثيرٌ من الناس يعلم ولكنّه لا يفعل وعلمه خالٍ من التأثير، فلا يؤمن ولا يعشق. وما أكثر العلم الخالي من التأثير ولكن لا عملَ دون تأثير. إن أثر العمل قطعيّ، إن كان مصحوبا بشرائطه. قد لا يرغّب العلمُ الإنسانَ ولكنّ العملَ يرغّبه قطعا، ومثال ذلك هو «الأنس». فعلى سبيل المثال قد تمرّ بجدار مدرستك في أيام الصبا، فتحنّ إليها وتقول: «آه... إنه جدار مدرستي» وذلك لأنك قد أنست بجدار مدرستك وعشقته! ولكنك لم تعشق الله والفضائل على الرغم من كل المعلومات التي تحظى بها عن الله والفضائل. إن أردت أن تعشق شيئا، فاعشقه بالعمل والسلوك! وإن شئت أن تعشق الحسين (ع) فقل في صبيحة كلّ يوم وفي ساعة محدّدة «صلى الله عليك يا أبا عبد الله» وقل: «يا حسين! بودّي أن أعتاد عليك لكي أعشقك ولكي أكون عارفا بحقّك» فإنّ من شأن العادة أن تبلور العشق في وجود الإنسان. نحن نكره العادة غالبا، فيقول أحدنا: «لا أريد أن أتعوّد»! في حين أن عادات الإنسان هي التي تشكّل عصارة وجوده. فقد قال الإمام الباقر(ع): «عَوِّدُوا أَنْفُسَكُمْ الْخَيْرَ»(الخرائج/٢/٥٩٦) فعوِّد نفسك الخير لكي تصبح عاشقا وعارفا! وانظر على ماذا اعتَدت؟ فإنك ستعشقه! إن الأمر بهذه البساطة! فلا يُنجز بمطالعة الكتاب! وهل يمكن أن يحصل بالقوّة كُرهاً! في «علم النفس النمو» تُدرَس الأفعال التي يجب أن يمارِسَها الطفل في مختلف مراحل نموّه. وكذلك وصايا رواياتنا حول حركة نموّ الطفل هي من قبيل الفعل غالبا. يعني تؤكد على بعض الأفعال التي يجب أن تُمارَس. يقول البعض: «العلم أولا، ثم الإيمان، وبعد ذلك العمل الصالح!» فيا تُرى على أي أساس من أُسس معرفة الإنسان يُقال هذا الكلام؟! فإن كان هذا الكلام صائبا فمن أي سنة يجب أن نشحن الطفل بالمعارف الدينية؟ إنه الآن لا يعرف شيئا من هذه المعارف، إذن فلابد أن ننتظر إلى بَعد الثامنة عشر حتى نعلّمه!

لا يـزال الطفـل يمـارس أفعـالا؛ فإمـا يلعـب، وإمـا يـأكل أو يتكلـم أو يلبـس أو... وهـذه الأفعـال هـي أسـاتذته الحقيقيّـون. فـإن لم تكـن هـذه الأفعـال عـلى صـواب، قضـت عـلى الطفـل قبـل أن يبلـغ عمـرا يصلـح لأن نعلّمـه المعـارف الدينيـة. يمـارس الأطفـال كلّ هـذه الأفعـال والنشـاطات مـن دون تعليـم ومعرفـة، ولكـن مـا إن يصـل دور اللـه والديـن، نتفلسـف ونقـول: «يجـب أن يتعلمـوا أولا». لمـاذا نسـمح للصهاينـة ببرمجـة ألعـاب أطفالنـا، ودسّـها فيهـم ليتعاطوهـا مـن دون فكـر وعلـم؟! كـما قـد وكلنـا إليهـم أمـر تخطيـط باقـي جوانـب الحيـاة. فـإن أفسـدت هـذه الأفعـال ذهـن الطفـل وروحـه، جاءنـا أولياؤهـم بعـد ذلـك بطفلهـم وقالـوا: «شـيخنا تحـدث معـه، فـإني أريـد أن يصبـح متديّنـا!» ولكـن لم يبـق مـن قابلياتـه شيء لـكي أعلمـه المعـارف الدينيّـة! مـاذا يجـب علينـا الآن؟ هـل نضـع الطفـل بـين يـدي الصهاينـة لـكي يفسـد روحـه وذهنـه بنمـط الحيـاة والسـلوك الـذي هـم خطّطـوه؟! وهـل سـوف يحظـى بالقابليـة الفكريـة والروحيـة اللازمـة لـكي نحدّثـه يومئـذ عـن الإيمـان والمعـارف الدينيـة؟! لمـاذا أمرونـا بإجبـار الطفـل عـلى الصـلاة في السـابعة مـن عمـره، وأن نعلّمـه أحـكام الديـن حـين مـا يبلـغ الأربـع عـشرة سـنة؟ [الـكافي/ج٦/ص٤٧] ذلـك لأن العمـل يشـكّل شـخصية الإنسـان فـلا يجـوز الفعـل غـير الصحيـح. إن عزمـت عـلى أن تحـدّث أحـداً مـا عـن المعـارف الدينيـة، فمـن المهـم أن تعـرف خلفيتـه السـلوكية؟! أفهـل مـلأ خلفيتَـه الفسـقُ والمجـون؟! ومـاذا يمـارس مـن سـلوك طـوال يومـه؟! وأيّ نمـط مـن الأفعـال قـد عـاشر؟! لقـد وُصّينـا بإعطـاء الصدقـة لولدنـا إن أردنـا أن نتصـدّق ليبـاشر هـو بنفسـه. فدعـه يدفـع الصدقـة بنفسـه. ولكننـا نقـول: «كلا! إذ لا يفهـم هـذا الطفـل معنـى التصـدّق، فـلأشرح لـه أولا...» مـا إن يـأتي دور العمـل الصالـح، نصبـح فلاسـفة ونتفلسـف! يقـول القـرآن: «ذلِـكَ الْكِتـابُ لا رَيْـبَ فيـهِ هُـدىً لِلْمُتَّقـين» (البقـرة/٢) والمتقـون هـم أهـل مراقبـة أعمالهـم. يعنـي هـذا الكتـاب يهـدي أولي الأعـمال الصالحـة، وإنمـا يؤمـن هـؤلاء. مـن أيـن يجـب أن ينطلـق الإنسـان؟ حسـبه ذرّة مـن العلـم والإيمـان والحـب. فـإن حصـل ذلـك عليـه أن يُقبـل عـلى العمـل ويُصلـح سـلوكه.

مـرارا وتكـرارا مـا سُـئِل الشـيخ بهجـت (ره) أن مـاذا نفعـل لنصبـح مـن العرفـاء؟ فـكان يجيـب بمقتضى الروايـات: اعمـل بمـا تعلـم فسـوف يتكفـل الأبـواب والجـدران بتعليمـك! قـال أمـير المؤمنـين (ع): «مَـنْ يَعْمَـلْ يَـزْدَدْ قُـوَّةً» (غررالحكـم/٧٩٩٠)! أي يـزدد بالعمـل إيمانُـه وحبُّـه وفهمـه وباقـي قـواه الروحيّـة قـوّةً. وكذلـك قـال (ع): «مَـنْ يُقَـصِّرْ فِي الْعَمَـلِ يَـزْدَدْ فَـتْرَةً» (غررالحكـم/٧٩٩١) قـال أمـير المؤمنـين (ع): «مَـنْ عَمِـلَ اشْـتَاقَ» (غررالحكـم/٧٧٢٩) فـإن شـئت أن يغمـرك العشـق والشـوق، فنظّـم سـلوكك.

أحـد أفعالنـا المهمّـة هـو إقامـة العـزاء واللطـم عـلى الإمـام الحسـين (ع). فبمجـرّد أن تخطـو خطـوة في سـبيل الحسـين (ع) نحـو أن تخطـو إلى مأتـم الإمـام الحسـين (ع) أو تمـشي في زيـارة الأربعـين عـلى قدميـك إلى كربـلاء، يتحـوّل حالـك ويـزداد إيمانـك ويُصبـح قلبُـك عاشـقا. فقـدِّم للحسـين (ع) مـا تقـدر عليـه وافعـل لـه مـا تسـتطيع مهـما كان؛ فعـلى سـبيل المثـال انصـب رايـة سـوداء عـلى واجهـة بيتـك...

بسم الله الرحمن الرحيم

نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة٢)

علي‌رضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: شهر المحرّم ١٤٣٣

المكان: مهديّة طهران

الموضوع: نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة٢)

قبل تعليم أحكام العبادات، بادر إلى ولدك بتعليم الحياة!/ أيها الأساتذة الكرام، لا تشحنوا أذهان الأطفال بالمعلومات!

ثلاث رؤى خاطئة عن العمل: ١. هي أن ننتظر حتى نحظى بغزارة العلم والإيمان والحب، ثم نعمل. ٢. هو أن نزعم أن السبيل إلى ازدياد الإيمان والحب، زيادة المعلومات. والحال أن هذه المعلومات المكوّمة هي من بواعث الفساد بحد ذاتها. ٣. أن نزوّد الإنسان بالمعلومات والمعارف الدينية قبل إيجاد القابليّة!/ يمهّدنا السلوك ونمط الحياة الحسنان لفهم الحقيقة وتقبّله. الدين برنامج لاجتياز موانع الحياة؛ فما لم يعش الطفل صعوبات الحياة وموانعها، لم يستعد بعد لاستماع رسالة الدين.

إليكم أهم المقاطع من المجلس الثاني من سلسلة محاضرات عليرضا بناهيان في جامعة الإمام الصادق(ع) تحت عنوان «نمط الحياة، أوقع تأثيرا من العلم والإيمان»:

هناك رؤية خاطئة عن «قيمة العمل وزمان المبادرة به» يجب أن نعالجها. من الخطأ أن ينتظر الإنسان أن يحظى بغزارة المعلومات والإيمان والعشق، ثمّ يعمل. كمن ينتظر أن يجري في أرضه ماء غزير ليبادر بالزراعة! فقد يلزم الأمر أن نحفر في الأرض بئرا لنحصل على الماء. ربما يجب على المرء أن يفتش بمعلوماته القليلة عن آثار الحب والإيمان في قلبه، ويروي نفسه بذلك، ولا ينتظر أن يجري في وجوده بحرٌ من الإيمان ثمّ يعمل! إن هذا الأصل نموذج تعليمي وتربوي. فوفق هذا النموذج يخاطب الأستاذ تلميذه ويقول: «أنا أعلمك بضعة كلمات، ولكن إن شئت أكثر من ذلك فابحث عنه في وجودك بالحكمة لتجده، إذ يسعك أن تنتج العلم بالحد الأدنى من المعلومات» أرجو الأساتذة المحترمين أن يعلموا الأطفال نمط الحياة هذا. فلا تشحنوا أذهانهم بالمعلومات، بل بلوروا في أذهانهم مسائل وقضايا ودعوهم يبحثوا بأنفسهم. علّموا الطالب أسلوب طرح المسألة وحلّها ودعوه يتقدّم مع الأستاذ خطوة خطوة. فإنكم تقضون على ذهن الطفل بضخّ هذا الكم الهائل من المعلومات في ذهنه، ثم يجب أن يخضع لامتحان في ما تعلمه! فيزعم الجيل الناشئ أن الارتقاء والتطوّر هو أن يتعلم هذه المعلومات منك. وما الفائدة من هذا المنهج يا ترى؟ لا فائدة فيه سوى أن يربّي عددا من الموظفين!

أصبحت الدرجات من نواميس التربية والتعليم! ولكنّها إساءة إلى كرامة المعلم. لماذا لا نثق بالأستاذ ليكون تشخيصه هو المعيار في نجاح الطلاب! إن كرامة الأستاذ أجل من هذه الدرجات التي أوهنت الأذهان وقضت على الإبداع. حينما نطالب الأستاذ بورقة الامتحان، هذا يعني «أننا لا نثق بك!». طبعا قد يستغل أستاذ ما ويتحيّز لهذا ويظلم ذاك. ولكن فساد سلوك هذا الطالب أقل من الفساد الذي تحدثه هذه الدرجات. ألا ترون أن أكثر الطلاب لا يصبحون علماء؛ هذه هي الجريمة التي نرتكبها تجاه الطلاب! وكذلك الحال في الحوزات العلمية. إذ بإمكان أكثر الطلاب أن يصبحوا مجتهدين، ولكن أكثرهم لا يصلون إلى درجة الاجتهاد. وذلك بسبب حجم دروسهم وكثرة ما يُعطَون من معلومات. في حين بإمكانهم أن يدرسوا الطالب منذ السنة الأولى من دراسة اللمعة والأصول على أن يمارس الإفتاء ويتدرّب عليه. خطؤنا هو أننا نعتقد أنه يجب أن يتضاعف حبنا وإيماننا وعلمنا كثيرا لكي تدفعنا إلى العمل تلقائيا. ولكن كما تعلمون إذا أردتم تعزيز الحب والإيمان في قلوبكم، فلا سبيل لكم إلى ذلك سوى إعطاء المعلومات، إلا أن نتخذ العمل سبيلا إلى ذلك وهذا هو موضوع بحثنا والذي يتنافى مع الأسلوب السائد في المجتمع. وخطر تصعيد المعلومات هو أنه إذا زدتم معلومات امرء في سبيل ازدياد إيمانه ومحبّته، قد يؤول هذا التعليم المكثّف إلى فساده! قال أمير المؤمنين(ع) لابنه في الكتاب الـ٣١ من نهج البلاغة: «فَإِنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ وَ تَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمّاً وَاحِداً فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ» خطؤنا الأول تجاه العمل هو أن ندعه حتى نكون عشاقا ومؤمنين جدّا! والحال هو أنه يجب أن نفتش في ضمائرنا وننتهز ما وجدنا فيها من العشق والإيمان وإن قلّ، ثم ننتفع به.خطؤنا الثاني هو أن نزعم أن من أجل ازدياد الإيمان والعشق والحب، لابد أن نزداد علما! كشأن بعض الناس الذين يكثرون من الأكل بغية اكتساب القوّة وهم لا يعلمون أن ذلك يزيدهم ضعفا. والحقيقة هي أنه إن لم تكن هناك ثمرة عملية للإيمان والعشق، تتكوّم المعلومات، والعلم المكوّم الذي لم يزدد بالإيمان على أثر فقدان العمل، هو من بواعث الفساد. خطؤنا الثالث هو أن نُغدق على الإنسان معلومات كثيرة من قبل أن نمهّده روحيّا؛ يعني من قبل أن نكوّن فيه الاستعداد الروحي للتقبّل القلبي عبر العمل ونمط الحياة والسلوك، نكثر من تعليمه ونؤكد على تجهيزه بالمعارف الدينية دائما! لماذا تُكثر من تعليم الطفل الأحكامَ الشرعية ؟! علّمه الحياةَ أولا ليصل الدور إلى أحكام العبادة! المشكلة هي أننا لم نُعلّم الطفلَ مرارة الحياة، ولذلك لا تراه يحظى بالقابلية اللازمة لاستماع رسالة الدين.

لقد وصانا النبي (ص) أن اخبزوا الخبز في بيوتكم لئلا يصيبكم الفقر، وحتى الطحين لا تشتروه حاضرا [الكافي/ج١٦٧/٥] [من لا يحضره الفقيه/ج٢٦٩/٣] وكما تعلمون إن مراحل تحضير الخبز صعبة وطويلة. فلابد أن يرى الطفل مدى صعوبة تحضير رغيف خبز واحد. ولابد أن يدرك أن الحياة مصحوبة بهذه الصعوبات. فإذا أدرك الطفل معنى الحياة بشكل صحيح، هان له استيعاب العبادة وأحكام الدين. الدين منقذ الإنسان في خضمّ صعوبات الحياة، ولكننا إن واجهنا الطفل بأحكام الدين قبل أن نُريه صعوبات الحياة، سيرى الدين مزاحما! إذ لا يعلم أن الدين برنامج لاجتياز موانع الحياة، لأنه لم يواجه موانع في حياته، ونشأ غارقا في أوهامه وخيالاته، فالآن ما إن تحدثه بشيء عن الدين يحصل له سوء فهم. غالبا ما لا نُري أطفالنا مشاكل الحياة وموانعها وصعابها، ولذلك فعندما يودّ الدين أن يرشدهم إلى طريق اجتياز الموانع، يأبون إذ يزعمون أن ليس هناك مانع أساسا! لقد زُقّ الأطفال مع الأسف الكسلَ وطلبَ الراحة والتوهمّ، بحيث أصبحوا يزعمون أن الحياة من دون المشاكل والصعاب شيء ممكن! ما أكثر الأمهات اللاتي لا يدعن أطفالهن يذوقون شدائد الحياة ومرارتها؛ فعلى سبيل المثال لا يسمحن لهم بتجشّم عناء الطبخ! حتى ترى بعضهنّ يقلن للخطيب: إنّ بنتنا لا تُحسن الطبخ! الأم اللتي تصرخ وتضجّ إن انزعجت من أمرٍ ما، فهي تربّي طفلها متوهّما، إذ تقول له من حيث لا تشعر: «يمكن أن تكون الحياة من دون مشاكل!» أما الأم التي تعاني ثم تبتسم وتقول لأولادها: «هذا واقع الحياة فهي لا تخلو عن الصعاب!» فإن أولادها يتحلّون بالقابلية اللازمة لفهم العبادة وتقبلها. العبادة هي من قبيل التمارين الرياضية لخوض غمرات مباراة الحياة الرئيسة! ولكن لا يعلم أطفالُنا أنّ مباراة الحياة الرئيسة تقتضي منهم أن يركضوا ويتحملوا العناء، ولذلك لا يعتبرون التمارين الرياضية أمرا ضروريّا ولا يخضعون لها! كيف نروّض أنفسنا؟ لقد أجاب القرآن: (اسْتَعينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ وَ إِنَّها لَكَبيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخاشِعين) [البقرة/٤٥] ولا يخشع إلا من أدرك مرارة الحياة ومعاناتها. لماذا نبادر إلى تعليم أطفالنا الدينَ من قبل أن نعلّمهم مجموعة من سلوكيات نمط الحياة؟! لماذا نُعلّم أطفالَنا الدين من قبل أن نعلمهم صعوبات الحياة ومراراتها بعد ما بلغوا السابعة من عمرهم؟! ما أكثر الدروس الدينيّة التي تُفرض على الأطفال في السنين الابتدائية! أنا بصفتي طالبا حوزويّا أطالب بحذف هذه الدروس من المناهج الدراسيّة، ثم علمّوا الأطفال الحياة بدلا عنها، لكي يدرك الطفل في هذه السنين السبع أن (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ في‏ كَبَد) [البلد/٤] أي الحياة صراع مع المعاناة التي لابدّ منها، فمن أجل الخفض من هذه المعاناة لابد أن تُقبِل إلى بعضها ولا تفرّ منها! فعلّموا الطفل هذه الحقيقة.

قال الله تعالى في القرآن: (مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَميعاً) [الفاطر/١٠] كأن العزّ هو رفعة مقام وأفضلية وعظمة. وقال سبحانه: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ). قال العلامة الطباطبائي (ره): الكلمات الطيبة هي العقائد الطيبة والفكر الطيب والمعرفة الطيبة. (وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) والعمل الصالح يرفع هذا العشق والإيمان والكلمات الطيبة. أي يجب أن نرسلها إلى الله بالعمل الصالح. وقال أمير المؤمنين (ع) في هذه الآية: «يَعْنِي إِذَا كَانَ عَمَلُهُ صَالِحاً ارْتَفَعَ قَوْلُهُ وَكَلَامُه» (احتجاج الطبرسي/١/٢٦٠) فماذا أفعل إن شئت أن أصل إلى الله؟ عزّز إيمانك ورَقّه بالعمل الصالح. إذن يقرّبك العمل الصالح إلى الله. لقد سمّي يوم القيامة في القرآن الكريم بيوم الحسرة. فليت شعري لماذا لا نتحسّر في هذه الدنيا؟ لأننا نعتقد بأن لم يكن يسعنا بلوغ درجة الصالحين والأبرار مثل الشيخ بهجت وأمثاله! ولكن سوف يفتح كتابك يوم القيامة وسوف ترى أن الطريق إلى نيل درجات أمثال الشيخ بهجت كان بحاجة إلى رأسمال أقل بكثير مما كنت تحظى به في الدنيا! فما كان سوى أنك قد ضيعت فُرَصَك! لا أنك لم تكن تقدر، بل كنت قادرا ولكن غفلت ولم تعمل ولم تتأمل! فحينئذ يلتهب الإنسان بنار الحسرة!

بسم الله الرحمن الرحيم

نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة٣)

عليرضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: شهر المحرّم ١٤٣٣

المكان: مهديّة طهران

الموضوع: نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة٣)

إن سلوكك ونمط حياتك، ينظم أفكارك ورغباتك

طريقان أساسيان لتعزيز الإيمان والحب: ١. طريق العلم والفكر ٢. طريق العمل/ إن تأثير العمل على الرغبات آكد من تأثير العلم/ إن لنمط سلوك الناس وحياتهم تأثيرا قطعيا على قلبهم وإيمانهم ورغباتهم/ الصهاينة: تديّن بأي دين شئت، ولكن خذ نمط حياتك منّا! تُصبحْ لنا عبدا!

إليكم أهم المقاطع من كلمة عليرضا بناهيان في جامعة الإمام الصادق(ع) تحت عنوان «نمط الحياة، أوقع تأثيرا من العلم والإيمان»:

عندما نقول: «إن تأثير العمل والسلوك أكثر من العلم» فلا يعني ذلك بالضرورة أن العمل أرقى وأثمن! فليس حديثنا عن «القيمة» بل عن «قوّة التأثير». أجل؛ إن ثمن الإيمان عالٍ جدّا، وقيمة العلم والعمل هي بسبب تأثيرهما في ازدياد الإيمان. ولكن لا يعني ذلك أن نعمد إلى الإيمان مباشرة ونسعى لتقويته! وهل يمكن تعزيز الإيمان بشكل مباشر؟! وأساسا ليس لنا إلى القلب من سبيل مباشر! كيف يسعنا أن نصعّد مستوى الإيمان والحب في قلوبنا؟ إذا أردنا أن نعزّز الإيمان والحب ونضعّف الرغبات السيئة فأمامنا طريقان: أحدهما طريق العلم والفكر، والآخر طريق العمل. ولكن العمل أوقع تأثيرا من الفكر والمعلومات. طبعا إن تأثير العلم على النزعات، في القلب السليم أسرع. وتأثير العمل على النزعات أبطأ، ولكنه أكثر حتميّة وأشدّ اطمئنانا. إن لعمل الناس ونمط سلوكهم وحياتهم تأثيرا قطعيّا على قلوبهم وإيمانهم ورغباتهم. كما أن لعمل الإنسان وسلوكه تأثيرا على معرفته وفكره. فعلى سبيل المثال أحد أعمالنا هو النظر. فإنك تتعلم بعض الأشياء عبر النظر، وتتذكر بعض الأشياء على أثر النظر. في أحد اختبارات علم النفس، جمعوا عددا من الأطفال في مكان محدّد ثم وضعوا على الطاولة أمامهم حلويّات. ثمّ قالوا للأطفال: إن لم تطعموا هذه الحلويات لمدّة نصف ساعة نكافئكم بهديّة. ثم خرج المختبِر من الغرفة وبدأ يراقب سلوك الأطفال عبر الكامرة. رأى بعض الأطفال ينظرون إلى الحلويّات كثيرا ويحدّثون أنفسهم أن هل يأكلون منها أم لا! ورأى بعض الأطفال ينظرون إلى الحلويات تارة فقط، ورأى بعضهم لا ينظرون إليها إلا قليلا أو لا ينظرون أبدا. فكانت نتيجة الاختبار كالتالي: أكثر الأطفال الذين كانوا يُكثرون من النظر إلى الحلويّات قد أكلوا منها، أما أولئك الذين لم ينظروا إليها فلم يأكلوا. إذن لنظر الإنسان تأثيرٌ على إرادته.

لقد قام عالم النفس الذي أجرى هذا الاختبار بدراسة حياة هؤلاء الأطفال وعملهم ورشدهم العلمي بعد خمسة عشر سنة فخرج بنتيجة مُلفتة: كل من لم يطعم الحلويات من هؤلاء الأطفال كان قد أصبح إنسانا ناجحا، وكل من أكل منها فلم يُصبح ناجحا وإن كان يحظى بذكاء معرفي عال. يقول العلماء اليوم: ليس للذكاء المعرفي ذاك التأثير، خلافا للذكاء العاطفي الذي هو في بالغ التأثير. فكيف يقوّون الذكاء العاطفي؟ بشعار «أجّل أكلَ الحلوى»! لقد أُسست مدرسة في الغرب وفقا لهذا المنهج مكتوب على زيّ طلابها «كل الحلوى بعد حين!» ما هو المؤثّر في الرشد العلمي؟ إذا أردتم أن تربّوا عالما، فعلّموا طلّاب الابتدائية على «جهاد النفس». حسبكم أن تحافظوا على سلامة قلب الطفل، لينطلق هو بنفسه نحو التعلّم والفهم! فما عساي أن أفعل للحفاظ على سلامة قلبه؟ علّمه نمط الحياة الصحيحة، يُصبح عالما! أعتقد أنه يجب أن تتحوّل المدارس الابتدائية إلى مراكز يتأدب فيها الطفل. أي نُعلّم الطفلَ نمط الحياة وبكل أدب. حينها سيتلقّى الطفلُ العلمَ أيضا خلال حواره ولعبه مع المعلّم والطلاب. لا أقول أن نضعَ العلم جانبا ولا نعلم الطفل شيئا، ولكن لا بحجم المناهج الدراسية الموجودة اليوم! لعل خمسة أو عشرة بالمئة من حجم الدروس الموجودة تكفي. إذا اضطررتم في المرحلة الثانوية إلى نظام الدرجات لتُلزموا الطالبَ الدراسةَ والبقاءَ في المدرسة، فهذا علامة على إفلاس منهج الابتدائية. إن دور المرحلة الابتدائية هي أن تعدّل سلوكَ الطفل. الابتدائية هي فترة «امتثال الأوامر» من أجل تعديل السلوك. إن عدّلنا ونظّمنا ورقّينا نزعات الطفل ومن ثَمّ صَلُحت نزعاتُه، سيبحث عن الفهم والمعرفة من تلقاء نفسه. فأولا سيُصبح فهيما، وثانيا سيقدر على الربط بين معلوماته عبر فكر مبدِع. فيكون حينئذ عالما لا خازنا للمعلومات! أي سينتج العلمَ بنفسه. ماذا يحدث إن لم يكن قلب الطالب أي نزعاته سالماً؟ إحدى التائج هي أن لم يعد يفهم جيّدا، والثانية أنه لن يقدر على الربط بين ما معلوماته حتى لو فهم بعض الأمور. والثالثة أنه لا يستطيع أن يستخدم علمَه. سيأتي زمان على الناس، كلّ من أراد أن يطلب العلم وفي أيّ فرع وتخصّص، فإن شاهد الناسُ منه سلوكا خاطئا قالوا له: ألا تريد أن تُصبح عالما؟ فما هذا السلوك إذن؟! ما هذا الزي الذي ارتديتَه؟! وما هذه التسريحة لشعرك؟ فقد انطلقت أفعالك هذه من هوسك! ومن المؤكد أن لا يُصبح أسيرُ الهوى عالماً! سيقول هذا الكلامَ حتى ملحدو المجتمع وفساقُه لا المتديّنون فحسب! فحينئذ سيمنع العلماء أنصافَ المحجّبات من دخول الجامعة ويقولون لهن: «هنا مركز للعلم! ولا يجوز اللهو والفسوق في المركز العلمي؛ إذ يضرّ هذا السلوك بحركة التطوّر العلمي.» فإن ازددنا فهما ونُضجاً بلغنا هذا المستوى. ولكنّا اليومَ هكذا نتواصى بالحجاب فنقول: «نرجو الالتزام بالقيم الإسلاميّة»! أي لم نفهم ما هي فائدة الحجاب بعد، ولكن يجب الالتزام به على أي حال!

كل هذه الصفحة مهمة

إن السلوكَ ينظم قدرتك على التفكير وينظّم نزعاتك أيضا. وقد أدرك الصهاينة هذا الموضوع (أهمية السلوك ونمط الحياة) جيدا. هم يقولون: لا أهمية لفكركم وإيمانكم ودينكم. فاعبدوا من شئتم، وآمنوا بأي نبيّ شئتم، واتخذوا أيّ دين شئتم! ولكن دعونا ننظّم نمط حياتكم، تصبحوا عبيدا لنا. اليوم، لا يتدخّل الصهاينة كثيرا في رؤية الناس الكونيّة، بل يتدخّلون في سلوكهم ونمط حياتهم! يقولون: كلوا هذه الشطائر، واسمعوا هذه الأغاني، والبسوا هذه الأزياء... إنهم يراهنون على السلوك كالزّي وتسريحة الشعر و.. ثم يُطلقون شعار «حرّية الأديان»! لماذا؟ لأنهم لم يعودوا يخشون الدين بعد ذلك. قال أمير المؤمنين(ع): «لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَلْبَسُوا لِبَاسَ الْعَجَمِ وَ يَطْعَمُوا أَطْعِمَةَ الْعَجَمِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذُّلِّ.» [محاسن/ج٢/ص٤١٠] فإن استطاع أولئك الذين يهدفون إلى البطش بكم والقضاء عليكم أن يغيّروا مأكلكم وملبسكم فقد انحدرتم إلى الشقاء. لقد انطلقت في الغرب موجة تدعو إلى «ضرورة ضبط السلوك»؛ ولكنّها لم تصل إلى إيران الإسلامية بعد. مع أنها حركة يؤيّدها ديننا أيضا! لا أدري متى يريد بعض مدرائنا الوسط أن يتركوا انبهارَهم بفكر الصهاينة وثقافتهم؟! متى يريدون أن يدركوا أن الدين عقلاني؟! وما أكثر التجارب في العلوم التجريبيّة التي تؤيّد الدين. فليعملوا وفق معطيات العلوم التجريبيّة على الأقل! فقد أثبتت العلوم التجريبيّة اليوم أن السلوك أو نمط الحياة مهمّ جدّا. ومع الأسف لم ترسخ هذه الحقيقة حتى في مناهجنا التعليميّة الدينيّة. فمن أراد أن يدرّس الدين، غالبا ما يتّجه إلى الرؤية الكونية والإيمان والأبحاث الكلامية والعقدية؛ لا إلى إصلاح السلوك ونمط الحياة! هناك روايات كثيرة تصبّ في مجال مدى تأثير السلوك على النزعات والأفكار. فعلى سبيل المثال قال أمير المؤمنين(ع): «الْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَر» [نهج البلاغة/ الحكمة٤٠٩] قل لي «إلى ماذا تنظر؟» ليتبيّن مدى إيمانك. وقال الإمام الصادق(ع): «إِيَّاكُمْ وَ النَّظِرَةَ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ فِي الْقَلْبِ الشَّهْوَة» [تحف العقول/ ٣٠٥] النظر يزرع الشهوة في القلب، لا أنّه ناجم عن الشهوة فقط! وقال أمير المؤمنين (ع): «مِنَ الْفَرَاغِ تَكُونُ الصَّبْوَةُ» [غررالحكم/٩٢٥١] أي يكون الجهل والركون إلى الهوى. ونحن في بلدنا ندع الشابّ فارغا عاطلا عبر تنظيم حكومي تحت غطاء الثانويّة. مع أن هذا المقطع من عمر الإنسان هو فترة العمل والنَصَب والتعب والفكر معاً. فنحن نخون شبّان هذا البلد حين نقول لهم: «لا تعمل وإنما نريد أن نشحن ذهنك بالمعلومات!» فها نحن نروّج الفساد في المجتمع بشكل تنظيمي. من يعمل ويشتغل، يحسن فهمُه. طبعا قد لا يجد طالبُ الثانوية عملا مُربِحا، ولكن ما أكثر الأعمال التي لا تُكسبه مالا ولكنّها تنجيه من الفراغ. يجب أن يكون العمل شرفَ الثانويّة وعِرضَها. المدرسة الثانوية التي لا تفرض على طلابها أن يقوموا بأعمال ونشاطات مضافة إلى دراستهم، فإنها في الواقع من بواعث الفساد في البلد.

بسم الله الرحمن الرحيم

نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة٤)

علي‌رضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: شهر المحرّم ١٤٣٣

المكان: مهديّة طهران

الموضوع: نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة٤)

من بين الأعمال كلّها، لا يرقى تأثير عملٍ في وجود الإنسان إلى أثر تغيير السلوك!/ التوبة تعني أن تنقذ نفسك (معلوماتك ورغباتك) من أسر أعمالك السيّئة

يكفينا للسلوك الحَسَن شيء قليل من الإيمان والرغبات الحسنة، وغالبا يتوفّر هذا القدر عندنا/ أول ما يجب على المدرسة هو مساعدة الأسرة على تحسين سلوك الطفل، لا أن تشحن ذهنه بالمعلومات/ حتى الذي لا دين له، فهو من أجل تكوين حياة حسنة وحيويّة بحاجة إلى تعديل سلوكه ونمط حياته./ أيّ عمل ننجزه بحيث يترك فينا أكبر تأثير إيجابي؟ الاستغفار والتوبة وتعديل السلوك!/ إن كثيرا من عادتنا التي يجب أن نغيّرها هي من قبيل "السلوك الدفاعي".

إليكم أهم المقاطع من المجلس الرابع من سلسلة محاضرات عليرضا بناهيان في جامعة الإمام الصادق(ع) تحت عنوان «نمط الحياة، أوقع تأثيرا من العلم والإيمان»:

يتساءل البعض أن لماذا قلت: «لا حاجة لنا إلى العلم ولا الإيمان بل ولا إلى المحبّة قبل العمل؟» ولكني لم أقل: لا حاجة لنا إلى العلم والإيمان والحب قبل العمل الصالح والسلوك الحسن، بل أقول: لا حاجة لنا إلى اكتساب الإيمان والرغبات الحسنة، إذ نحن نحظى بها ذاتا وقد انطوت قلوبنا عليها! يلزمنا الإيمان قبل العمل، كما قد قُدّم الإيمان على العمل في أغلب الآيات القرآنية (الَّذينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحات) ولكن سؤالي هو أنه «كم من الإيمان يلزمنا؟» حسبنا للقيام بالعمل الصالح قدرٌ يسير من الإيمان، ومن ثَمّ ينمو هذا الإيمان بالعمل الصالح، وهذا القدر اليسير من الإيمان متوفّر لدى أكثر الناس ويسمّى بالإيمان الفطري. وإن فُقِد عند امرء فلا يحتاج إلى تعليم كثير بل يتبلور بأقل إشارة أو نغزة. يكفي للانطلاق شيءٌ قليل من الإيمان والعلم والحبّ الحسن. فمع توفّرها يصل الدور إلى العمل وإصلاح السلوك! ولكن الرؤية العامّة لدى الناس على عكس هذه الحقيقة، ومناهج الحوزة والجامعة لم تدوّن على أساسها. أنا لا أدعو إلى تهميش العلم! ولا أسوّق للأميّة! ولكن نفس هذا العلم يقول: «إن العمل ونمط السلوك الحسن، يصعّد قابليّة الإنسان في الفهم واكتساب العلم».

يقـول الإمـام الخمينـي (ره) في كتـاب «الأربعـون حديثـا»: «اعلـم أن لا يُطـوى طريـقٌ في المعـارف الإلهيـة إلا أن تكـون بدايـة حركـة الإنسـان فيـه مـن ظاهـر الشريعـة [أي هـذه الأحـكام الدينيـة مـن المحرمـات والواجبـات و...] ومـا لم يتـأدّب الإنسـان بـآداب الشريعـة الحقّـة، لـن يتبلـور فيـه شيء مـن الأخـلاق الحسـنة حقيقـةً، كـما لا يمكـن أن يُـشرق قلبُـه بنـور المعرفـة الإلهيّـة أو ينكشـفَ لـه علـم الباطـن وأسرار الشريعـة» [الأربعـون حديثـا (الفارسـية)/٨] يعنـي مـا لم تسـلك طريـق الشريعـة وتعمـل بأحـكام الديـن لا تسـتطيع أن تفهـم لمـاذا أصـدر اللـه هـذا الحكـم! اعمـل أولا لتقتنـع بعـد حـين؛ لمـاذا تريـد أن تقتنـع ثـمّ تعمـل؟! يقـول البعـض: «أريـد أن أقتنـع ثـمّ أعمـل!» فعنـد ذلـك يلزمـه أن يـصرف قسـطا مـن الوقـت. يقتـضي ذلـك أن يقـضي سـنينا عديـدة بالـدرس والبحـث لـكي يقتنـع بـأداء الواجبات كالصـلاة وغيرهـا. ثـمّ هـل تتوقّـف أنـت هـذه الوقفـة لباقـي أعمالـك أيضـا، فـلا تقـدم عـلى عمـل إلا بعـد مـا تقتنـع بـه؟! مثـلا إن مرضـت ووصـف لـك الطبيـب وصفـة، هـل تقـول: «يجـب أن أفهـم لمـاذا وُصِـفَ هـذا الـدواء لهـذا المـرض؟» مـمّا يقتـضي أن تـدرس سـنينا لتعـرف طبيعـة أثـر هـذا الـدواء عـلى جسـمك! ولعلّـك تمـوت عـلى أثـر هـذا المـرض نفسِـه طـوال سـنين دراسـتك! هـل تشـترط هـذا الـشرط في مجـال صحّـة ولـدك وغذائـه؟! فعـلى سـبيل المثـال هـل تسـمح لولـدك بـأن يـأكل الأطعمـة المـضرّة والسـامّة مـا لم يُـدرك ضررَهـا، فتمهلـه حتـى يـدرك هـو بنفسـه ويقتنـع بكونهـا مـضرّة؟! لمـاذا تُطعِـم ولـدك الطعـام الصحّـي مـن دون اسـتئذانه؟ لنفـس هـذا السـبب يجـب أن تقـترح عليـه ألعابـا جيّـدة وتؤدّبـه عـلى الآداب الحسـنة. لا أن تعلّمـه فلسـفة الأدب أولا، ليقتنـع هـو بعـد حـين بـضرورة الالتـزام بـالأدب! مـا أكـثر الأفعـال ـ كالطعـام واللبـس والالتـزام بالصحّـة ـ التـي نفرضهـا عـلى الطفـل مـن دون أن يقتنـع. ولكـن مـا إن نصـل إلى الأعـمال الدينيّـة كالصـلاة نقـول: «يجـب أن يقتنـع الطفـل أولا ثـم يصـلي!» طبعـا ليـس كلامنـا حـول الديـن.إنّ مـا ندّعيـه هـو إن العمـل مقـدّم عـلى العلـم مـن عـدّة جوانـب. فـإذا أردتـم عـلى سـبيل المثـال أن تدرّبـوا رياضيّـا محترفـا للفريـق المنتخـب، فـلا داعـي إلى أن تعـدّوا لـه دورة تعليميـة في علـم التشريـح لثـلاث سـنوات! بـل حسـبه الحـدّ الأدنى مـن المعلومـات ثـمّ تبـدأون معـه بالتماريـن العمليّـة. أيهـا الآبـاء والأمهـات الكـرام! يجـب عليكـم أن تهتمّـوا بنمـط حيـاة أولادكـم أكـثر بألـف مـرّة مـن اهتمامكـم بدراسـتهم في المدرسـة! إن أول مـا يجـب أن تقـوم بـه المـدارس هـو أن تعـين الأسرة عـلى تحسـين سـلوك الأطفـال؛ لا أن تشـحن دمـاغ الطفـل بالمعلومـات فقـط! فـإذا أردتـم أن يُصبـح ولدكـم عالمـا، وحتـى لـو أردتـم أن يصبـح عالمـا بـلا ديـن، فهـذا هـو الطريـق فحسـب.

فمن لا دين له، ألم يودّ أن يحظى بحياة حسنة وبهيجة؟ ألا يريد أن يكون مبدعا سعيدا وقويّا؟ فإن أراد ذلك فلا سبيل إليه إلا إصلاح السلوك ونمط الحياة. وقد أقرّت بذلك حتى العلوم التجريبية. يقول العقل البشري اليوم وكذلك تقول العلوم التجريبية: «يجب أن تصلحوا نمط حياتكم أولا»! يعني لا يجوز للمرء أن يأكل كل ما يشتهي، ولا أن يلبس كل ما راق له، بل يجب أن ينظّم سلوكه. وهذا ما يفرضه الدين أيضا. ماذا يقول الدين؟ الدين عبارة عن حياة عقلانية، وقد غدا العالم البشري يصل إلى هذه العقلانيّة. يجب أن نصلح سلوكنا أولا. فقد روي عن نبي الله عيسى (ع) أنه قال: «إِنَّهُ لَيسَ بِنافِعِكَ أن تَعلَمَ ما لَم تَعلَم ولَمّا تَعمَل بِما قَد عَلِمتَ، إنَّ كَثرَةَ العِلمِ لا تَزيدُ إلّا كِبرًا إذا لَم تَعمَل بِه» [الزهد لابن حنبل/ ص٧٦] إذن يجب على أولئك الذين يتردّدون إلى الجامعة والأوساط العلميّة أن يراقبوا سلوكهم أشد المراقبة. قال سماحة السيّد القائد الإمام الخامنئي (دام ظله) ذات مرّة: لا ينبغي أن تروّج الموسيقى في الجامعات كثيرا. أتعلمون لماذا؟ إذ لابدّ لأهل العلم من استخدام دماغهم، ولكن بعض أنواع الموسيقى مضرّة! أساسا يجب أن تتغيّر كثير من الممارسات في الجامعة، لأن من المفترض أن تمارس فيها أفعال حساسة، وقد عزم طلابها على استخدام أدمغتهم. قال أمير المؤمنين (ع): «إِنَّكُمْ إِلَى الْعَمَلِ بِمَا عَلِمْتُمْ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى تَعَلُّمِ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ» [غررالحكم/٣٨٢٦] وقال الإمام الصادق (ع): «وَ اعْلَمْ أَنَّ قَلِيلَ الْعِلْمِ يَحْتَاجُ إِلَى كَثِيرِ الْعَمَلِ...» [مصباح الشريعة/١٤] لأنك تدرك حقيقةً ما في لحظة، ثمّ يلزمك أن تعمل بها طوال عمرك! وقال (ع): «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ كُفِيَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» [توحيد الصدوق/٤١٦] حسّن سلوكك واعمل صالحا، فإن الله سيغدق عليك بالعلوم من كل باب وجدار ـ بتعبير الشيخ بهجت (ره) ـ أي من كل حدب وصوب، وستعي بنفسك كثيرا من الحقائق! بعدما اقتنعنا بأن العمل أهمّ، يأتي هذا السؤال وهو أنه «أي عمل نمارسه؟ وما هي الخطوة الأولى؟» من أهم الأعمال الجيّدة والمؤثرة التي يجب أن نبدأ بها، هو تغيير السلوك والتوبة وكسر العادة والاستغفار! أيُّ عملٍ يصقل روح الإنسان كثيرا؟ أي عمل نقوم به ليترك فينا أكبر تأثير؟ الاستغفار، التوبة وتغيير السلوك! فكّر وانظر ما هي عاداتك السيئة التي يجب أن تغيّرها؟ (طبعا تغيير العادة ليس بأمر هيّن أبدا) يقال في الأبحاث العرفانية «إن الخطوة الأولى هي التوبة!» فإن ارتكبت ذنبا تب، وإن وجدت نفسك خاليا من أي سلوك سيئ لتتوب منه، فتب من أفعالك الحسنة! وقل إلهي ما هذه الصلوات التي أديتها؟ أسأت يا ربّ! فسأسعى أن أحسّن صلواتي! إن كان النبي (ص) يستغفر فما بالك بأنفسنا؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة٥)

علي‌رضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: شهر المحرّم ۱۴۳۳
المكان: مهديّة طهران
الموضوع: نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة٥)

لماذا لا تتعصّب لنمط حياتك؟!/ لماذا تقلّد الآخرين؟! فلتكن مستقلاً!

إن رأيت العملَ ربما لا يُقدَّر كما يُقدَّر العلم ويُعتبر دون العلم درجةً، فذلك لأنه «لا يظهر أثرُ السلوك إلا بعد حين» ولكن أثره قطعي!/ لا تظهر آثار العمل بسرعة ولا بأس بذلك، لأنه من بواعث نضج الإنسان وازدياد صبره/ لا تزال لم تتحول دروس الحوزة برمّتها إلى «فصول ووحدات» فإن أصبحت كلّها كذلك لن نعود نتوقع تربية مجتهدين!/ لماذا نسمح لهم بتغيير طعامنا؟ لماذا نقلد الآخرين في مأكلهم وملبسهم؟ لماذا لا نتعصّب هنا؟! فلتكن مستقلا!/ لماذا لا تتعصب لموسيقى بلدك التي تنسجم مع ثقافتك وأرضك؟/ لماذا تستمع إلى أيّ موسيقى؟ لماذا تدسّ في روحك أغنية محمولة من ثقافة غير ثقافتك وأرض غير أرضك؟!

إليكم أهم المقاطع من المجلس الخامس من سلسلة محاضرات عليرضا بناهيان في جامعة الإمام الصادق(ع) تحت عنوان «نمط الحياة، أوقع تأثيرا من العلم والإيمان»:

إن رأيت العملَ ربما لا يُقدَّر كما يُقدَّر العلم ويُعتبر دون العلم درجةً، فذلك لأنه «لا يظهر أثر السلوك إلا بعد حين» ولكن أثره قطعي! فعلى سبيل المثال لا ينبغي لمن بدأ بالرياضة توّاً أن يقيس عضلاته يوميّا ليرى كم تضخّمت! بل عليه أن يستمر بالرياضة ليرى النتيجة شيئا فشيئا. أن يكون العمل بطيئا في نتائجه هو عيب أو نقطة سالبة له، ولكن الإنصاف أنه ليس بعيب بل هو حسن. إن من إيجابيات العمل هي أنه يزيدك صبرا ونضجا. ومن نواقص ثقافة مجتمعنا وتفكيره هو أنه بعدما أصبحنا لا نولي العمل ما يقتضيه من الاهتمام ولا نُعِدّ خطّة لمراقبة أعمالنا، أصبحنا أناسا عجولين ونافذي الصبر، وصرنا نودّ أن نحصل على نتيجة سريعة من كلّ عمل. لو كنّا آبهين بالسلوك كما ينبغي لكنّا نعتقد بأن «كل ما في هذه الدنيا لا يحصل دفعة، وكلُّ أمر يُنجَز شيئا فشيئا وبتأنّ». فما لم تقبل بهذا التدريج والتأني لن تقدر على العيش بصواب! لقد جاء في الروايات أن إذا أردت أن تحصل على نتيجة عمل صالح ما، فاستمر به عاما على الأقل! «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ فَلْيَدُمْ عَلَيْهِ سَنَةً وَ لَا يَقْطَعْهُ دُونَهَا» [دعائم الإسلام/١/٢١٤]

قال الإمام الباقر (ع): «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَدُومَ عَلَى الْعَمَلِ إِذَا عَوَّدْتُهُ نَفْسِي، وَ إِنْ فَاتَنِي مِنَ اللَّيْلِ قَضَيْتُهُ مِنَ النَّهَارِ وَ إِنْ فَاتَنِي مِنَ النَّهَارِ قَضَيْتُهُ بِاللَّيْلِ وَ إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دِيمَ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ وَ كُلَّ رَأْسِ شَهْرٍ، وَ أَعْمَالَ السَّنَةِ تُعْرَضُ فِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَإِذَا عَوَّدْتَ نَفْسَكَ عَمَلًا فَدُمْ عَلَيْهِ سَنَةً» [الأصول الستة عشر/ص٢٣٧]. وسئل الشيخ بهجت ماذا نفعل كي نداوم على صلاة الليل؟ فقال: كل ما فاتتك صلاة الليل، فاقضها في النهار! أخذ بحثنا يقترب من مفهوم نمط الحياة، وهو أن نتجه إلى ما يدوم من الأعمال، وهنا يتبلور معنى نمط الحياة. أي عمل يقدم عليه الإنسان فإنه لا يثمر إلا بعد فترة من الزمن. كان يؤمَر الطلاب في المدارس الابتدائية بزرع الفاصوليا، ومن المحبّذ أن يتعلّم الأطفال زراعة نباتٍ ما، ولكن يا ليتهم يأمرون الطلّاب في المدرسة بزراعة شجرة فاكهة! فإن صَبَرَ طالبٌ أربع سنين لتنمو شجرته، كَبُرَ هو أيضا ونضج. أحد أبعاد نضج شخصية الإنسان حتى في مجال الذهن والتفكير، هو الصبر. فلن يرشد فكريّا غير الصبور! وكذلك يجب أن تكون عمليّة الدراسة عمليّة متواصلة تدريجيّة ليستوعب الإنسان المادّة جيّدا. فعندما يطالع طالب المدرسة أو الجامعة أو الحوزة حجما كبيرا من مادّته الدراسيّة ليلة الامتحان، فهو في الواقع يقضي على علمه وإبداعه. مع الأسف قد لحق طلّاب الحوزة أيضا بنظام الفصول والوحدات والامتحان. بعد ما تقدّم امتحانا في مادّة ما، فإنك في الواقع قد أنهيت المادّة ونبذتها! وإن ذهن الإنسان يزيل أكثر تلك المحفوظات بعد الامتحان. كان طلّاب الحوزة يدرسون بطريقة أخرى سابقا؛ لا على طريقة الفصول والوحدات. فكان يقال للطالب مثلا: «عليك أن تدرس كتاب السيوطي». وكان يستغرق دراسته سنتين. ولا تزال بعض دروس الحوزة هكذا. فلم تنخرط جميع الدروس الحوزويّة في نظام «الفصول والوحدات»، فإن أصبحت جميعها كذلك لن نعود نتوقّع تربية مجتهدين! شاهدوا حتميّة أثر العمل في هذه الرواية. يقول الله عز وجل في حديث المعراج: «يَا أَحْمَدُ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا جَاعَ بَطْنُهُ وَ حَفِظَ لِسَانَهُ عَلَّمْتُهُ الْحِكْمَةَ ـ يعني من عمل بهذين الاثنين فقط منحته الحكمة ـ وَ إِنْ كَانَ كَافِراً تَكُونُ حِكْمَتُهُ حُجَّةً عَلَيْهِ وَ وَبَالًا ـ فيقال له: لماذا أنت وقد كنت تعرف الحقيقة؟ ـ وَ إِنْ كَانَ مُؤْمِناً تَكُونُ حِكْمَتُهُ لَهُ نُوراً وَ بُرْهَاناً وَ شِفَاءً وَ رَحْمَةً فَيَعْلَمُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ وَ يُبْصِرُ مَا لَمْ يَكُنْ يُبْصِرُ فَأَوَّلُ مَا أُبَصِّرُهُ عُيُوبُ نَفْسِهِ ـ يعني يتعرف على نفسه وينظر إلى نفسه من الأعلى ـ حَتَّى يُشْغَلَ بِهَا عَنْ عُيُوبِ غَيْرِهِ ـ أي أصلح علاقاته الاجتماعية؛ فيصبح رؤوفا بالجميع، فلا يستغيب أحدا ولا يحقد على أحد ولا يتألم من أحد ويقول: دعني أنشغل بنفسي! ـ وَ أُبَصِّرُهُ دَقَائِقَ الْعِلْمِ حَتَّى لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ» [إرشاد القلوب/ج١/ص٢٠٥]

إن جميع الآثار المذكورة في هذه الرواية هي من قبيل «الرؤى» مثل الحكمة والبصيرة، فإن راقبت عملين من أعمالك تَرَكت كل هذه الآثار في رؤاك. وأساسا لا يصبح الإنسان عالما إلا بمراقبة عمله! ولكن هل تجرأ أن تتحدث بهذا الكلام في الجامعات! لماذا لا تستطيع؟ بسبب سيطرة الثقافة الصهيونية الماجنة التي تريد أن تجعل الناس عبيدا؛ وبحسب الظاهر تحاول أن تعطي لنفسها صبغة علميّة. هناك سلطة متعصبة جاهلة تقف سدّا أمام رواج بعض العلوم التجريبية فضلا عن العلوم الدينية! أول ما يجب أن يراقَب في المدرسة هو السلوك. فاحترام الطالب ومنحه شخصية قويّة لا يعني أن نقول له: «اذهب واعمل ما شئت»! فإنك إن أعطيته هذه الحرّية جعلته حيوانا! أفلا تريد أن يُصبح عالما؟ طيّب؛ فاضبط سلوكه! أفهل يجب أن نضبط سلوكه بالمقررات؟ كلا؛ يجب أن نضبطه بالتثقيف والتأديب! أنا لا أؤمن بالضوابط والمقرّرات كثيرا، إذ إن الثواب والعقاب السريعَين مضرّان وكذلك كثرة القوانين والمقرّرات لا تخلو من ضرر. العمل الذي يحظى بهذه القوّة والتأثير هو العمل المداوم عليه. لأننا نتأثر من العمل في المدى البعيد، فلابدّ أن تكون أعمالنا دائمة وذلك يعني أن نتعوّد على الأعمال الصالحة، وعليه فلابدّ أن نتجهّز ببرنامج ثابت لسلوكنا ونمط حياتنا! أحصِ أفعالك واحدا واحدا منذ أن تُصبِح وتَصَفّح نمط سلوكك. تأمل في كيفيّة أعراسكم وعزاياكم؟ التذبذب يجعل حياة الإنسان كحياة الحيوانات، وهو أن نعمل بما نشاء ونهوى. الدين يعلمنا نمط الحياة. فعلى سبيل المثال يقف صاحب العزاء في مجلس الفاتحة والتأبين عند الباب يستقبل الضيوف ويرحّب بهم، وهذا ما وصّى به الدين في الواقع. فقد جاء في الرواية أنه إن أصيب أحد إخوانك بمصيبة فكفاك أن تُظهر نفسك إليه ليراك؛ « كَفَاكَ مِنَ التَّعْزِيَةِ بِأَنْ يَرَاكَ صَاحِبُ الْمُصِيبَةِ.» [من لا يحضره الفقيه/ ج١/ص١٧٤] كان القدماء يعرفون هذه الرواية ويعملون بها. فكان يقف صاحب المصيبة عند الباب ويأتي المعزّون ليراهم فكان يُعمَل بهذه الآداب. لماذا تمارِس كلّ فعل؟! هذا هو سؤال موضوعنا الرئيس. لماذا غيّرت زيّك؟ لماذا قصّرت لباسَك؟ طوبى لبعض الأقوام الإيرانيّين الذين ما زالوا محافظين على زيّهم. وطوبى لأبناء بعض دول الجوار الذين قد تمسّكوا بزيّهم. فعلى سبيل المثال في شرق البلاد وشرقيّها لا يزال أبناء تلك المدن محافظين على زيّهم. وهذا بالضبط يمثّل أحد مصاديق الإنسانيّة. ويعني أن لا يحقّ لأحد أن يغيّر زيّنا. لماذا نسمح لهم بتغيير طعامنا؟ ولماذا نتّبع الآخرين في نمط أكلهم ولبسهم؟ لماذا نضع أسماء الأكلات الأجنبية على الجدران؟ لماذا لا تُثار حفيظة أحد في مثل هذه القضايا؟ وليت شعري ما علاقة هذه المظاهر بثقافتنا؟!

نمط الحياة يعني «أن ترى ما هي الأفعال التي تمارسها عادةً، فعليك أن تبرمج لكل واحد منها!» في بلدنا وجرّاء التعاليم الخاطئة التي تقدّمها الحوزة والجامعة ومدارس التربية والتعليم للمجتمع وعلى أثر التعاليم والدعايات الخاطئة الدينية وغير الدينية لم يعد شيء باسم «نمط الحياة» مهمّاً. كن مستقلا في شخصيتك شيئا ما! لماذا تستمع كلّ أغنية؟ لماذا تدسّ في روحك أغنية محمولة من ثقافة غير ثقافتك وأرض غير أرضك؟! فلتكن متعصّبا لموسيقى بلدك! وقل: أريد أغانينا الإيرانيّة؛ حتى وإن كانت الأغنية رديئة، فلتكن أغنية رديئة إيرانية تخصّني وتعنيني، وإن كانت أغنية جيّدة فلتكن أغنية جيّدة إيرانية نابتة من هذا التراب. إن تفكير الإنسان متأثر بسلوكه. كيف ما كان سلوكنا، يكون تفكيرنا. وكيف ما كان طعامنا، يكون تفكيرنا! ومن هذا المنطلق نجد الصهاينة يسعون سعيا لتغيير نمط حياتنا. إذ إنهم يعلمون جيدا أنه إذا تغيّر نمط حياتك، تغيّر تفكيرك بالطبع. فلتعدّوا برنامجا لزمان طعامكم وأسلوب طعامكم ونوعية الأكلات التي تأكلونها في البيت. فإذا زاركم ضيف في البيت وأردتم أن تتعارفوا، فقولوا نحن في أسرتنا نأكل هذه الأكلات. مثلا لا نقدّم الفواكه بعد وجبة الطعام مباشرة، إذ وصى الأطباء والحكماء أن نأكل الفواكه بعد فترة من وجبة الطعام، وذلك لأن أكل الفاكهة بعد الطعام مباشرة يؤدي إلى بعض العوارض الصحيّة. ما أقل مبالاتنا بأمر اسمه السلوك ونمط الحياة! مع أن المفترض هو أنه يجب أن نتخذ برنامجا ونمطا لسلوكنا ونهتمّ بالأنماط والأساليب. ثم انظروا أي ثمار ستجنوها بعد هذا الاهتمام! قد يقول قائل: «أوهل مقام مجلس الإمام الحسين(ع) يناسب هذا الكلام؟!» ـ نحن الذين نلطم على الحسين(ع)، لماذا نسمح لأتباع يزيد أن يصمّموا أزياءنا وطعامنا فيُصبح نمط حياتنا قريبا من نمط حياة أتباع يزيد؟ أيّها الحسينيّون! تعلّموا من الحسين(ع) نمط الحياة. وانظروا نمط حياة الحسين وأدب أطفاله! قال أحد جلاوزة يزيد اللعين: لقد أسأنا التعامل طوال الطريق مع الأسرى، وقسونا عليهم بالضرب والشتم، ولكن لم تجر على لسان أحد الأطفال كلمة سيئة قط. فما أحسن أدبهم...

بسم الله الرحمن الرحیم

نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة٦)

علي‌رضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: شهر المحرّم ١٤٣٣

المكان: مهديّة طهران

الموضوع: نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة٦)

لماذا نجد نمط الحياة متخلّف في مجتمعنا؟!/ ليهتمّ علماء الدين بإصلاح نمط الحياة أكثر من اهتمامهم بالمسائل الشرعيّة.

لاشك في أن مستوانا العلمي متخلف في مجال نمط الحياة ويعود اللوم هنا على علماء الحوزة والجامعة/ إن نمط الحياة هو حصيلة جميع العلوم، فعلى المفكّرين في مختلف العلوم أن يجلسوا معاً ويصمموا نمط الحياة/ إن اقتصر علماء الدين على الحديث عن المسائل الشرعية فقط، سيحصل انطباع مشوّه لدى الناس عن الدين/ إنّ نمط الحياة هو الأرضية للعمل بالمسائل الشرعيّة. فإن صَلُح نمط الحياة، هان العمل بالأحكام الشرعيّة إلى حدّ كبير .

إليكم أهم المقاطع من المجلس السادس من سلسلة محاضرات عليرضا بناهيان في جامعة الإمام الصادق(ع) تحت عنوان «نمط الحياة، أوقع تأثيرا من العلم والإيمان»:

بعد ما عرفنا مدى أهميّة نمط الحياة وقرّرنا على مراقبة سلوكنا وتنظيمه، يتبادر إلينا هذا السؤال وهو أنه «كيف ننظّم نمط حياتنا؟» في أي ساعة ننام مثلا ومتى نستيقظ؟ هنا يسعنا أن نستعين بالعلوم التجريبيّة كثيرا. هناك فِرَق من علماء النفس يدرسون الآن هذه القضية وهي أنه «لا يجوز للإنسان أن يجعل أفعاله تحت تأثير مشاعره». وقد جعلوا الخطوات الأولى للعلاج أمرا نسمّيه نحن «الأدب». يقولون: لا علاقة لنا بإيمانك وأهوائك؛ ليس عليك إلا أن تفعل كذا وكذا. ما أكثر الأعمالَ المجانبةَ للصواب التي لا ينبغي أن نعيزها إلى عدم الإيمان. يحظى الإيمان بقوّة ما، ولكن لا ترقى هذه القوّة إلى ما يجعلنا نحمّل الإيمان فوق طاقته! كثيرٌ من النساء الناقصات الحجاب لسن بضعاف الإيمان. فإنهنّ يحظين بإيمان كاف بحَسَبهم، ولكن لو كنّ يملكن «القدرة على مراقبة سلوكهن وتنظيمه»، لجَنَين من إيمانهنّ هذا عشرة أضعاف. تسعون بالمئة من الشباب التاركين صلاتَهم ليسوا بعديمي الإيمان، وإنما يتكاسلون! وهذا مرض في مجال سلوك الإنسان. فلماذا تحدثه دائما عن نار جهنم ويوم القيامة؟! ولماذا تحدّثه دوما عن الإيمان بالله؟ إنه معتقد بالله، ولكن المشكلة تكمن في شيء آخر! نمط الحياة يعني «طابعنا السلوكي» و «والأعمال التي نتعاطاها دائما» فلماذا نحن متخلّفون في نمط الحياة؟ لأن علماء الحوزة والجامعة قد أهملوا موضوع نمط الحياة!

طبعا لدينا غيرُ قليل من أهل العلم والفهم، ولكن من أجل الإجابة عمّا يخصّ نمط الحياة فلابد من أن يجلس الفقهاء المتخصصون في مختلف العلوم مع المتخصصين في مختلف العلوم الإنسانية إلى جانب خبراء في علوم أخرى كعلم الوراثة والطب، حتى الفنانين ومهندسي التخطيط الحضري ليتشاركوا في عقولهم ويخرجوا بوصفة بسيطة في نمط الحياة. فإنه إنجاز ليس بهيّن وهو فوق طاقة صنف واحد من المتخصصين. إلا أن يكون حكيما عملاقا يحظى بجامعية في شتّى العلوم كالشيخ البهائي والفارابي وأمثالهم الذين كانوا متخصصين في مجالات عديدة من العلوم والفنون. إنّ نمط الحياة هو حصيلة جميع العلوم! لذلك يجب أن يجتمع العلماء من مختلف العلوم والتخصصات ليصمموا نمط حياة للمجتمع. فعلى سبيل المثال «كيف يجب أن تُجرى الانتخابات؟» يجب أن تُنظّم بالنحو الذي ترفع مستوى أدب المجتمع، لا أن تنطوي في ذاتها على سوء الأدب، فيأتي بعض المرشحين خلال أيام الانتخابات ويجانب الأدب في كلامه ويُفسد أخلاق المجتمع، ثمّ لا يقدر على إصلاح ما أفسد ألف أستاذ في الأخلاق! لا شك في أن مستوانا العلمي متخلّف في مجال نمط الحياة، ويعود اللوم هنا على علماء الحوزة والجامعة، إذ قد أهملوا هذا الأمر. فليس من العسير تشخيص الحكم الشرعي لعمل شرعيّ ما، كأن يقال مثلا: «المضاربة معاملة اقتصادية جائزة». ولكن فتوى حلّية المضاربة لا تُصبح نمط حياة لنا! لقد أصبح نمط حياتنا الاقتصادية هو أن يَدَع أكثر الناس أموالهم في البنك ولا يتاجرون بأنفسهم؛ أفهل هذه ظاهرة جيّدة؟! يقال: «لا بأس فيه شرعا». ولكن عندما ندرس نتيجة هذا السلوك على مداه الواسع، نجد أنه يقضي على الاقتصاد برمّته. إنه يفسد أخلاق الناس ويعزّز فيهم النفعيّة والانتهازيّة. لذلك ليت فقهاءنا يدرسون بعض الممارسات الاقتصاديّة الواسعة بالاستعانة بنَفَرٍ من المتخصصين في العلوم الإسلامية كعلم الأخلاق والاقتصاد وغيرهما. من النماذج الأخرى هو أنّ وثيقة عقد الزواج الآن تقترح أو تفرض على الرجل ٣٧ توقيعا، فيعطي الرجل وفق هذه التواقيع وكالة بلا عزل إلى زوجه بأن تكون هي صاحبة قرار الطلاق في حالة كذا وكذا. لا بأس بهذه الشروط الضمنيّة شرعا، ولكنها أخذت تنظّم لنا نمط الحياة. فمن الذي درس آثار هذه الشروط على المجتمع؟!بعد ما دسّوا هذه الشروط في عقد الزواج، لم تقل إحصائيات الطلاق بل صارت أضعافا! أليس لإحصائيات الطلاق علاقة بهذه التواقيع؟! قد يقول فقيه: «أنا لم أدرس هذه الشروط إلا من جانب حكمها الشرعي» ويقول محامٍ: «إنها ضمان حقوقيّ محكم!» ولكن عالم النفس يقول: «إنكم بهذه التواقيع تدفعون الأسرة صوب الانهيار!» لذلك يجب أن يجتمع المتخصصون في مختلف العلوم معا ويدرسون أمثال هذه القضايا من جميع جوانبها.

لماذا نحن متخلّفون في نمط الحياة؟ لأنه يمثّل علما متطوّرا جدّا، ولابدّ من اجتماع عديد من العلماء معا ليعطونا برنامجا للحياة. أوهل تقدّم أعداؤنا في نمط الحياة؟ وهل قد جمعوا علماءهم بغية تنظيم نمط الحياة؟ هنا عندما نحكي عن العدوّ لا نعني الأوروبّيّين ولا الأمريكان، بل نعني الصهاينة الذين يبطشون بالمسيحيّين بنفس اليد التي يبطشون بها المسلمين. لقد صُدِم الشعب الأوروبّي والأمريكي أي المسيحي في نمط حياته أكثر منّا بكثير؛ وأعني بالضبط نمط الحياة هذا الذي فرضه عليهم الصهاينة ليجعلوا المسيحيّين تحت هيمنتهم. فقد جعلوهم بالمجون ونمط حياة العبيد، موظّفين لهم ليتسّنى لهم أن يرتكبوا ما يشاءون من جريمة. لقد انتفض الأوروبّيون وعلى رأسهم الفرنسيّون على هذا النمط من الحياة الذي فرضه عليهم الصهاينة، فقد نهض الشعب وقام بتظاهرات وانتخابات من أجل تغيير بعض القوانين. بيد أنّ الصهاينة الذين هم متغلغلون في حكومة فرنسا، لم يسمحوا بإجراء هذهة! هذا نمط حياتهم ولكنهم يقترحون علينا نمط حياة آخر. فعلى سبيل المثال يشيرون علينا في إيران أن لا تكن الكلمة الأولى التي يتعلمها الطفل في الصف الأول «بابا آب داد؛ أبي أعطاني ماءً». ثم يقتنع هنا بعض الجهلة فيعمدون إلى تغييرها. ثمّ لا تتخذ الحوزة موقفا إذ لا بأس بتغييرها شرعاً. لماذا أثارت هذه الجملة في منهجنا الدراسي حفيظَتَهم؟ لأنهم يقولون: «لابدّ من القضاء على الأبويّة ليتسنى لنا تحطيمُ الأسرة». لا يقولنّ أحد: «أنت من هواة الرجولية أم الأنوثية؟» الرجل ملك البيت، والمرأة ملكة البيت. لذلك «بابا آب داد؛ أبي أعطاني ماء» عبارة صحيحة في محلّها. اقرأوا كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» لتطّلعوا على ما جرى خلف الكواليس عند الصهاينة ليتمخّض عن قراراتهم ونشاطاتهم. إنهم يقولون في هذه البروتوكولات: «نحن نجعل الناس يتخذون هذا النمط في حياتهم... ومن ثمّ يصبحون عبيدا لنا!». لم يعبأوا في هذه البروتوكولات بعقائد الناس ورؤاهم الكونية كثيرا، وإنما عبأوا بنمط حياتهم. تخيب آمال أعدائنا حقيقةً حينما يواجهون الجوانب الإيجابية والبارزة في نمط حياتنا! فعلى سبيل المثال لمّا يشاهدون الأربعين ومجالس المحرّم والقميص الأسود وتوزيعات الناس حبّا للحسين(ع)، تسودّ عليهم الدنيا، ولذلك تراهم يهاجمون هذه الشعائر بكل قسوة. مجرّد هذا الإطعام قد قضى عليهم. فهم يقولون: «ماذا نفعل بهذه الشعيرة؟ وكيف نطعن بها؟ وكيف نخرّبها ونفسدها؟»طبعا لا أعني أن أعداءنا أعلم منّا! كلا! فإن التخطيط من أجل إفساد المجتمع ليس بأمر عسير! كما لو أردتم أن تهدموا مسجدا فليس ذلك بعسير. إن في ميسوركم أن تهدموه خلال يوم واحد. أما البناء فصعب.

الرجولية هي السائدة في الأسر اليهوديّة! هذا نمط حياتهم ولكنهم يقترحون علينا نمط حياة آخر. فعلى سبيل المثال يشيرون علينا في إيران أن لا تكن الكلمة الأولى التي يتعلمها الطفل في الصف الأول «بابا آب داد؛ أبي أعطاني ماءً». ثم يقتنع هنا بعض الجهلة فيعمدون إلى تغييرها. ثمّ لا تتخذ الحوزة موقفا إذ لا بأس بتغييرها شرعاً. لماذا أثارت هذه الجملة في منهجنا الدراسي حفيظَتَهم؟ لأنهم يقولون: «لابدّ من القضاء على الأبويّة ليتسنى لنا تحطيمُ الأسرة». لا يقولنّ أحد: «أنت من هواة الرجولية أم الأنوثية؟» الرجل ملك البيت، والمرأة ملكة البيت. لذلك «بابا آب داد؛ أبي أعطاني ماء» عبارة صحيحة في محلّها. اقرأوا كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون» لتطّلعوا على ما جرى خلف الكواليس عند الصهاينة ليتمخّض عن قراراتهم ونشاطاتهم. إنهم يقولون في هذه البروتوكولات: «نحن نجعل الناس يتخذون هذا النمط في حياتهم... ومن ثمّ يصبحون عبيدا لنا!». لم يعبأوا في هذه البروتوكولات بعقائد الناس ورؤاهم الكونية كثيرا، وإنما عبأوا بنمط حياتهم. تخيب آمال أعدائنا حقيقةً حينما يواجهون الجوانب الإيجابية والبارزة في نمط حياتنا! فعلى سبيل المثال لمّا يشاهدون الأربعين ومجالس المحرّم والقميص الأسود وتوزيعات الناس حبّا للحسين(ع)، تسودّ عليهم الدنيا، ولذلك تراهم يهاجمون هذه الشعائر بكل قسوة. مجرّد هذا الإطعام قد قضى عليهم. فهم يقولون: «ماذا نفعل بهذه الشعيرة؟ وكيف نطعن بها؟ وكيف نخرّبها ونفسدها؟» إذا تأثر نمط حياتنا بالصهاينة، فلا تثار حفيظة أحد بطبيعة الحال، لأن هذا التأثر حركة تدريجيّة. المثال الذي يستشهد به الصهاينة أنفسهم في تصميم نمط الحياة للإيرانيّين هو هذا: «إن رميتُم ضفدعا في ماء ساخن، قَفَز من الماء بسرعة، ولكنكم إن وضعتموه في إناء ماء غيره وسخّنتموه شيئا فشيئا، لا يبدي الضفدع أي ردّ فعل، فينطبخ في الماء شيئا فشيئا»! وبالمناسبة كلامهم دقيق، لأن الفعل بطيء في التأثير غير أن تأثيره حتميّ. ليس من الصواب أن لا يتحدّث علماء الدين مع الناس إلا عن المسائل الشرعيّة، فعندئذ سيحصل انطباع مشوّه لدى الناس عن الدين. ينبغي لعلماء الدين أن يكونوا خبراء وأصحاب الرأي في نمط الحياة أيضا ـ طبعا ليس ذلك بهيّن ـ ويحدّثوا الناس عنه. ذلك لأن نمط الحياة يمثّل الأرضية للقيام بالأحكام الشرعيّة. فليتسلّح علماء الدين الحريصون على الناس، بالعلوم ذات الصلة بنمط الحياة، وليصلحوا نمط الحياة مستعينين على ذلك بالعوائل. فإن صَلُح نمط الحياة تيسّر العمل بالمسائل الشرعيّة. والحقيقة هي أن المسائل الشرعية سهلة وهذا ما يقرّ به الجميع.

مـن الـذي يطبّـق المسـائل الشرعيّـة؟ مـن كان نمـط حياتـه منسـجماً مـع هـذه الأحـكام! مـا الـذي يجـب أن نفعلـه ليخـفّ ثقـل الصـلاة عـلى الشـباب؟ يجـب أن يكـون الشـابّ مؤدّبـا! ليـس الأدب في ضمـن الأحـكام الشرعيّـة، بـل هـو مرتبـط بنمـط الحيـاة! ولكـن إذا كان الولـد مؤدّبـا، خـفّ عليـه ثقـل الصـلاة. وإنـه سـيصلّي بمجـرّد أن أخبرتـه عـن وجوبهـا. فلـماذا لا يصـلّي الآن؟ لأن نمـط حياتـه قـد علّمـه عـلى الكسـل. ولم يؤدّبـه كي يسـتمتع بمراعـاة الأدب. يسـألني أحدهـم: «مـاذا أفعـل كي يصـلّي ولـدي الشّـاب؟» ـ أفهـل جعلتَـه منظّـما في جميـع حياتـه؟ ـ لا. ـ إذن لـن يصـلّي! الصـلاة هـي سـهلة لمـن لـه عـشرون عمـلا يواظـب عليـه خـلال حياتـه اليوميّـة ويُنجـز جميعهـا أدبـا وخلافـا لميلـه. هـل أن هـذا الولـد يُثـاب أو يعاقـب فـورا عـلى كل مـا يفعلـه في المدرسـة؟ ـ نعـم! ـ فانفـض يـدك عـن صلاتـه! إذ ليـس في الصـلاة عقـاب أو ثـواب فوريّـان. فـلا تنـزل عليـه حجـارةٌ مـن السـماء إن تركهـا ولـن يهـده أحـد نجمـةً إذا صـلّى. فيتعاجـز عنهـا ويتركهـا بالطبـع.

بسم الله الرحمن الرحيم

نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة٧)

علي‌رضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: شهر المحرّم ١٤٣٣

المكان: مهديّة طهران

الموضوع: نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة٧)

الأدب ونمط الحياة هما ممهّدان للتديّن/ المجتمع المتمرّد على آدابه، عصيّ على الدين أيضا!

أحد المفاهيم الدينية القريبة جدّا من مفهوم نمط الحياة هو مفهوم الأدب/ إن من حسن الأدب ونمط الحياة هو أن يراقب المجتمع عبر العلاقات الإنسانية لا بالقانون والعقوبات!/ لم يتصدّ الإسلام إلى تحديد نمط حياتنا بحذافيره وتفاصيله/ المجتمع الذي لم يلتزم بآدابه لن يلتزم بالدين أيضا!/ العقل أساس الأدب، ولا يقتضي الأدبُ الالتزامَ بالدين بالضرورة

إليكم أهم المقاطع من المجلس السابع من سلسلة محاضرات عليرضا بناهيان في جامعة الإمام الصادق(ع) تحت عنوان «نمط الحياة، أوقع تأثيرا من العلم والإيمان»:

من المفترض أن يكون ديننا قد أخذ بعين الاعتبار احتياجات البشر إلى يوم المحشر، ولذلك فعندما ينزل إلى الساحة مفهوم جديد كنمط الحياة ـ الذي هو مفهوم ركين ومهمّ لحياة الإنسان ـ لابدّ أن يكون قد أشير إليه بنحوٍ ما في الدين. فإن كان نمط الحياة ذا تأثير غير قليل في حياة الإنسان، فبأي ألفاظ قد أشير إليه في الدين؟ وما هي الألفاظ التي استخدمها الدين والتي تشير بشتّى الأساليب إلى مفهوم «نمط الحياة»؟ سبق أن قد بحثنا حول مفهوم العمل والسلوك، ولا يخفى أن تعريف نمط الحياة يختلف عن تعريف العمل والسلوك. فإن نمط الحياة هو العمل والسلوك مضافا إلى قيود أخرى. ولكن مهما اهتمّ ديننا بالعمل والسلوك وأولاه قيمة، فإن نمط الحياة يحظى بنفس الأهمية والقيمة. المفهوم الآخر الذي غير منفك عن مفهوم نمط الحياة هو «العادة». لأن نمط الحياة هو ذلك السلوك الذي يمارسه الإنسان دائما، والعمل الذي يُمارَس بشكل دائم يتحول إلى عادة. لقد وصّتنا النصوص الدينية والروايات بأن نتخذ عادات حسنة ونغيّر العادات السيئة. وحتى قد يلزم الإنسان أن يغيّر إحدى عاداته الحسنة أو يعمل على خلاف عادته. فإن الأصل هو قدرة الإنسان على كسر عاداته. يرتبط نمط الحياة بطابع السلوك ارتباطا وثيقا وإنّه يشمل ظاهر سلوك الإنسان. فعلى سبيل المثال وإن كان نمط حياتك غير منفكّ عن نوع طعامك ولكنّه ذو علاقة أوثق «بأسلوب أكلك»، أي كيف تبدأ بالأكل وكيف تباشر به. من خصائص نمط الحياة الأخرى هي الاستمرار، وقد تحدثنا عنه في خلال مفهوم العادة. و من خصائصه الأخرى هي ممّا يختاره الإنسان بمعزل عن القوانين الاجتماعية المفروضة. فلا يلاحقك القانون أن تمارس هذا العمل! فإن تركته لن تسجّل عليك جريمة وإنّما هو أمر ثقافيّ وممّا يختاره الإنسان. فإمّا هو مرغوب ومحبوب وإما تختاره لأسباب ما.

هناك مفهوم قريب جدّا من نمط الحياة وتسري فيه نفس هذه الخصائص التي أحصيناها لنمط الحياة، وهو مفهوم عظيم باسم الـ «أدب». الأدب أيضا مثل نمط الحياة يهتم كثيرا بالطابع وشكل السلوك. فيقال مثلا: آداب الصلاة وآداب الطعام وآداب الزفاف وآداب مجالس التأبين وآداب اللُّبس وأمثالها هي سلوكنا الذي يتميّز بأشكال خاصّة. وفي مفهوم الأدب أيضا مثل نمط الحياة، نرى عنصر «الاستمرار» ماثلا. فمن الذي يُعرف مؤدّبا؟ من يراعي بعض الآداب في أفعاله دوما. أمّا الذي يصدر منه سلوك حسن بعض الأحيان، فلا يقال عنه: مؤدّب! لا يرتبط مفهوم الأدب بالقانون ارتباطا وثيقا، وهذه من نقاطه الإيجابية. لأن القانون لا يخلو من الفرض والإجبار، بينما يجب أن تُراقَب وتُعَدّل وتُحسَّن كثير من أفعالنا من دون حاجة إلى القانون. القانون يدلّ على هبوط مستوى المجتمع. لا يراقَب الأدبُ ونمطُ الحياة بالقانون عادةً. وهذه الميزة من محاسن الأدبِ والمجتمعِ الذي أراد أن يسيّر أموره بالأدب. إن بعض الناس لا يفعل ولا يترك شيئا إلا تحت مطرقة القانون، وليس هذا بصحيح. فقد قال أمير المؤمنين(ع): «لَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا يَنْتَفِعُ مِنَ الْعِظَةِ إِلَّا بِمَا لَزِمَهُ فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَنْتَفِعُ بِالْأَدَبِ وَ الْبَهَائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ» [تحف العقول/٨٣] أوهل نحن بهائم لكي نُدار بالقانون وحسب؟! طبعا لا شك في ضرورة وجود القانون، إذ يهوى بعض الناس أن يعيشون مثل البهائم دائما! ولكننا يجب أن نتصرّف بمقتضى الأدب في الغالب لا بقهر القانون! لا يحلو لمجتمعنا أن لا يجد بدّا لتنظيم وتحسين المرور، سوى زيادة الغرامات! فهذه الظاهرة تدلّ على أن مدارسنا غير ناجحة، وتعني أن عوائلنا والإذاعة والتلفزيون والهيئات والمساجد غير ناجحة! هل تعلمون متى تُحيَى فريضتا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ حينما كانت هناك آداب، وأصبح الناس يصونون هذه الآداب بملامحهم وأنظارهم. كما أنّ أحد أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ على ما جاء في الحديث ـ هو أن يواجه الناسُ المعصيةَ بوجوه مكفهرّة، لكي يرتدع العاصي. [الكافي/ج٥/ص٥٩] لابدّ من تعزيز الأدب في المدارس وأن يتصرّف الأطفال وفق الآداب. ولكن حينما يريد مدراء المدرسة أن يريحوا بالهم، يُكثِرون من فرض الضوابط والقوانين ليكون سلوك الطلاب على أساسها، وهذا ما لا يليق بالمجتمع الإنساني! ينبغي للطالب أن يستحيي من المعلّم، ثمّ يدرس ويُحسن السلوك بمقتضى الحياء والأدب. جمال نمط الحياة في أنه لا صلة له بالقانون والغرامات والمحاكم كثيرا، بل يُنَظّم في المجتمع عبر «العلاقات الإنسانيّة». فعلى سبيل المثال في جلسة «الشربت» والتي يخطب فيها أهل الزوج رسميّا بحضور كبار القوم، يُهدى خاتم للعروس! فيا ترى في أي مادّة دستوريّة أُقِرّ هذا العمل كقانون؟! إنه مضبوط في «غير مكتوب» ومرحبا بالمجتمع الذي يتصرّف فيه أبناؤه وفق قوانين الحياة غير المكتوبة!

حتـى وإن لم تكـن آدابنـا دينيّـة، فـلا بـأس. إذ لم يتصـدّ الإسـلام إلى تحديـد جميـع تفاصيـل نمـط حياتنـا بنفسـه. ولذلـك يلزمنـا تـارة أن نعـزّز الالتـزام بـالأدب ونمـط الحيـاة في المجتمـع مـن دون الاسـتعانة بالديـن. مثـلا أحـد وجـوه الأدب البـارزة جـدّا هـو «الحيـاء». فقـد قـال رسـول اللـه(ص): «إِذَا لَـمْ تَسْـتَحْيِ فَاصْنَـعْ مَـا شِـئْت»[عيون أخبـار الرضـا(ع)/ج٢/ص٥٦] يعنـي قبـل مـا تراجـع الديـن، قـوِّ حيـاءك لـكي نسـتطيع بعـد ذلـك أن نتحـاور معـاً! «الحيـاء» صفـة روحيّـة وأخلاقيّـة و «الأدب» أكـثر صلـة بالسـلوك ونمـط الحيـاة، غـير أننـا نسـتطيع أن نرفـع مسـتوى الحيـاء في المجتمـع عـبر تنظيـم السـلوك. وبالعكـس إن تركنـا بعـض السـلوك وبعـض الآداب في سـلوكنا، صـار المجتمـع صَلِفـاً! إنّ سـعي بعـض الجهـات عـلى هـدم الآداب في المجتمـع باسـم التحـرّر والصراحـة، لعمـل شـنيع حيـواني حقّـا. المجتمـع المتمـرّد عـلى آدابـه، عـصيّ عـلى الديـن أيضا! فـلا يجـوز أن يخبـو بريـق الأدب في المجتمـع. فـإن كان سـوء الأدب سـائدا في مجتمـع مـا، فـلا يمكـن أن يسـود الديـن فيـه. وكـذا الحـال في الأسرة، فإنه لابـد للأبويـن أن يحـدّدا بعـض الآداب في البيـت ويلتزمـا بهـا. فـإن أرادا أن يريحـا أنفسـهما ويخلعـا كلّ قيـد وعنـان عـن رقبتهـما في البيـت، وأن يعمـلا ويقـولا مـا طـاب لهـما، فلـن يقـوم للديـن في هـذا البيـت عمـود ولـن يخـضرّ لـه عـود! الأدب ونمـط الحيـاة يمثّـلان المقدّمـة للالتـزام بالديـن. فليـس مـن المفـترض أن يقتـصر الأنبيـاء وعلـماء الديـن المعنيّـون بحفـظ ديـن النـاس عـلى تبيـين الأحـكام الدينيـة الخاصّـة مـن الحـلال والحـرام والعبـادات! وليـس هـذا بنهـج صائـب! بـل ينبغـي أن يتظافـر علـماء الديـن وحتى أولئـك الذيـن ليسـوا معنيـين بتبليـغ الديـن بشـكل مبـاشر كالشـعراء والفنانـين والمهندسـين وغيرهـم عـلى أن يرفعـوا مسـتوى الأدب في المجتمـع. بعـد ذلـك سَيَسَـعُنا أن نتّفـق مـع المجـوسي بـل حتّـى الكافـر الملحـد عـلى الأدب إن كان مؤدّبـا. روي عـن أمـير المؤمنـين(ع) أنـه قـال: «الْأَدَبُ فِـى الْإِنْسَـانِ كَشَـجَرَةٍ أَصْلُهَـا الْعَقْـلُ» [غررالحكـم/٢٠٠٤] فليـس مـن الـضروري أن يكـون الإنسـان متديّنـا ليكـون مؤدّبـا وحييّـاً. إلّا أن الديـن يقـوّي الحيـاء والأدب. قـال أمـير المؤمنـين(ع): «أَحْسَـنُ الْآدَابِ مَـا كَفَّـكَ عَـنِ الْمَحَـارِمِ» [غررالحكـم/٣٢٩٨] فأولئـك الذيـن هـم بصـدد ترويـج الحجـاب في المجتمـع، عليهـم أن يـروا مـا هـي الآداب التـي إن سـادت في المجتمـع سَـهُل الحجـاب، بـدلا مـن أن يركّـزوا عـلى الحجـاب مبـاشرة ومـن دون مقدّمـة. فليعـزّزوا هـذه الآداب. مثـلا هنـاك آداب في العلاقـات الأسريـة مـن شـأنها أن تعـزّز الحجـاب، فـإن لم نـراع هـذه الآداب كأحـد أركان نمـط الحيـاة، لـن يتحسّـن الحجـاب في المجتمـع. فعـلى سـبيل المثـال: إن أسـأن الأمهـاتُ الأدبَ مـع الآبـاء في البيـت، ولم يتحدّثـن معهـم باحـترام أو تجـاسرن عليهـم، فـإنّ البنـت التـي تترعـرع في هـذا البيـت يتعـسّر عليهـا الحجـاب بعدئـذ. هـذا هـو أحـد جـذور الاسـتخفاف بالحجـاب وهنـاك جـذور أخـرى. وإن أسـاء الآبـاء في سـلوكهم مـع الأمّهـات وجانبـوا الرأفـة معهـنّ، سـاء خُلـق البنـين مـع البنـات في المجتمـع. هـذه قضايـا مرتبطـة بنمـط الحيـاة.

ليس الطريق أن تقول: «تحجّبي وإلّا فمصيرك نار جهنّم!» فإن هذا الخطاب لا يخلو من التحكّم! سهّل الحجاب على بنتك عبر نمط الحياة! هذا ما يأمر به الدين. ثمّ لا تختصّ أحكام الدين وأوامره بالشريعة، بل ينطوي الدين على وصايا تنظّم سلوك الناس في الأسرة والمجتمع، من قبيل وجوب احترام الكبار. فقد جاء في الرواية: «الشَّيْخُ فِي أَهْلِهِ كَالنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ» [روضة الواعظين/ ج٢/ص٤٧٦] إن لم نصلح هذا الجانب من نمط سلوكنا، سوف لا نتفهّم الولاء وإطاعة الولي غداً! لقد كتب الدكتور كاردان في كتابه علم النفس الاجتماعي (روانشناسی اجتماعی): «من أجل أن لا تجتمع المجتمعات الأوروبية مثل الشعب الألماني تحت إمرة قائد واحد، قام الصهاينة بالعمل ضدّ سيادة الأب في الأُسَر. فقد أعدّوا أطروحة وخطّطوا برامج واشتغلوا على خطّتهم هذه سنين» يشرح هذا الكاتب على أساس علم النفس أنه إذا كان الأب محترما في البيت، فإن الولد الذي ينشأ في هذا البيت إذا دخل في المجتمع سيشعر بحاجة إلى قائد! ولا يخفى عليكم طابور بعض القوانين خلف باب مجلس الشورى الإسلامي، ليُقرّها النوّاب ويُطَبَّق نمط الحياة الذي أعدّه الصهاينة للمجتمعات الأوروبّية في بلدنا أيضا. وبعضها قد أدرجت في وثيقة ٢٠٣٠. هناك بعض الفوارق بين الأدب ونمط الحياة وبين الأحكام الشرعية أو الأخلاق. فقد تختلف مصاديق الأدب باختلاف المجتمع، ولا ضير في ذلك. وقد يشيع بين قوم «أدبٌ سيء»، بإمكاننا أن نناقشها ونسعى لتركها. مثلا إذا كان «العجب والخيلاء» من تقاليد وعادات قوم، فهي عادة سيئة. ما هو تعريف الأدب؟ من أفضل الأحاديث في تعريف الأدب هو ما روي عن أمير المؤمنين(ع) حيث قال: «ضَبْطُ النَّفْسِ عِنْدَ الرَّغْبِ وَ الرَّهَبِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَدَبِ» [غرر الحكم/ ٥٩٣٢] فلا تُظهر كلَّ مشاعرك وأحاسيسك. فليست من طبائع الإنسان أن يتحدث بكل ما يشتهي! اقتراحي لكم ولا سيما للشباب هو أنّه إذا أردتم أن تتدرّبوا على أدبٍ حسن ونمط حياة سليم، نظّموا ساعة استيقاظكم! وابدأوا من بُكرة. كما أقدم اقتراحي إلى مواطنينا المسيحيّين أيضا. وهو أن يستيقظوا من نومهم عند وقت أذان المسلمين بل قبلَه بنصف ساعة. فإن ذلك ضروري لنشاط الإنسان وذكائه وصحّته في يومه. قال أحد الأطباء المتخصّصين: «المتخصصون في كل العالم يعرفون أن صحّة الجسم في الإبكار». هذه لحقيقة أشار إليها نبي الإسلام(ص) وقد أيدتها العلوم الطبيعية أيضا. ولذلك فحتى أولئك الذين لا يعتقدون بدين الإسلام ينبغي لهم أن يستيقظوا في الأسحار حفاظا على صحّتهم. ما هي آثار الأدب؟ أحد آثاره كما ذُكر هو سهولة امتثال أحكام الدين. من آثاره الأخرى هو «الرأفة». فإن الأدب غالبا يمنح الإنسان قلبا رؤوفا. والأثر الآخر من آثار الأدب يتجسد في العقل والفهم. فقد قال أمير المؤمنين(ع): «بِالْأَدَبِ تُشْحَذُ الْفِطَنُ» [غررالحكم/٤٣٣٣]. وبالمناسبة الاختبارات والدراسات التي أجريت في مجال الذكاء العاطفي قد انتهت إلى هذه النتيجة نفسها.

ليراقب المراقبون على الأفلام والمسلسلات التلفزيونية مدى مراعاتها للأدب أكثر من أن يراقبوا مدى مراعاتها للمسائل الشرعية. فلا تعرضوا الفلم الأجنبي أو الإيراني الذي يروّج سوء الأدب. فعلى سبيل المثال الفلم الذي يصرخ فيه ولدٌ على أبيه دون أن يحدث له حادث سيئ كالموت المفاجئ، أو الفلم الذي تصرخ فيه فتاة على والديها ثم لا تَشقى في حياتها فلا تعرضوه! فإن كنتم غير قادرين على تجسيد قبح هذا السلوك لا تعرضوه. فإن سوء الأدب أقبح من ارتكاب بعض المحرّمات الممنوعة في الأفلام والمسلسلات!

بسم الله الرحمن الرحيم

نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة٨)

علي‌رضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: شهر المحرّم ١٤٣٣

المكان: مهديّة طهران

الموضوع: نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة٨)

قد لا يرغب امرء في أن يكون متّقيا، ولكن لا بدّ له من الأدب!/ لماذا يروّج الصهاينة سوء الأدب؟ إذ بعد انعدام الأدب في مجتمع ما، تسنّى لهم أن يسترقّوا أبناءه

أمير المؤمنين(ع): مَنْ تَرَكَهُ (الأدب) صِيلَ عَلَيْه/ لا يخلو الأدب من مشقّة، فلابدّ أن نتكبّدها/ إن كان حسن الأخلاق ناشئا من صفات وراثيّة فليس بإنجاز؛ الإنجاز هو أن تشقّ على نفسك وتنظّم سلوكك بمقتضى الأدب!/ لا تعدّ محاسنك الوراثية فضائل! فلا قيمة لمحاسنك إلا ما سعيت له!/ تصفّح محاسنك وانظر أي مشقّة تجشّمتَ من أجلها؟ وأيّ جهد بذلته؟/ تتفوّق التقوى على الأدب ببضعة خصائص إضافيّة ١. الدقّة والمراقبة الدائمتان ٢. ترقّب أوامر الله ٣. وجود الدوافع والحوافز الإلهية في السلوك

إليكم أهمّ المقاطع من المجلس الثامن من سلسلة محاضرات عليرضا بناهيان في جامعة الإمام الصادق(ع) تحت عنوان «نمط الحياة، أوقع تأثيرا من العلم والإيمان»:

لقد انطوت حياتنا على ثلاث خُدَعٍ كبرى نخدع بها أنفسَنا عبر تبريرات وكلمات ظاهرُها معقول ومطلوب: الخدعة الأولى هي أننا تارةً، نترقّب الرغبات الجيّدة وننتظر أن تتبلور فينا الرغبةُ في العمل الصالح ثمّ تشتدّ إلى درجة تجعلنا نباشر العملَ الصالحَ دون عناء بل وبلذّة. ولكن هذا الشعور في الواقع هو ضرب من طلب الراحة! إذ معناه هو أنك لا تريد أن تتحمّل المشقّة من أجل تعزيز هذه الرغبة، بل تودّ أن تنتظر حتى تشتدّ هذه الرغبة تلقائيّاً. الخدعة الأخرى هي أن الإنسان تارةً يهوى أن يشتدّ إيمانه ويقينه بحيث يباشر الأعمال الصالحة بكل راحة ولذّة. وهذا هو الآخر ضرب من طلبة الراحة وطلب اللذّة. الخدعة الثالثة هي أن يقول الإنسان: بودّي أن تتحسّن أخلاقي، لكي أمارس السلوك الحسن نتيجةَ الاتصاف بالملكات الحسنة بكل سهولة ولذّة! فليخسأ طلب الراحة وطلب اللذة، فما أخدعهما! مثلا يتمنّى الإنسان أن يُصبح السخاء من سجاياه لكي لا يتكبّد عناءَ الإنفاق! نحن نقول: الإنجاز هو أن تشقّ على نفسك وتنظّم سلوكك على أساس الأدب دون أن تترقّب ارتقاء إيمانك ومحبّتك وأخلاقك تلقائيّا! لابدّ أن تتقبّل أنّ «الأدب لا يخلو من مشقّة!» فإذا رأى الوالدان أن ولدهما يتّصف ببضعة أخلاق حسنة لما انتقل إليه من بعض الصفات الوراثيّة من أبويه، فراح يباشر بهذه الصفات بِضعةَ أعمالٍ حسنةٍ بسهولة، فليدرّبا ولدهما على تجشّم بعضِ الأعمال الحسنة التي تصعب عليه. هذا هو التأديب!

يقول القرآن: (لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاَّ ما سَعَى) [النجم/٣٩] فلا يبقى للإنسان غيرُ السعي ولا يزيده قيمة إلا السعي. فتصفّح محاسنك الآن وانظر أيّ عناء تكبّدتَ من أجلها؟ وأي جهد بذلته؟ فلا فائدة فيما إذا كانت محاسنك قد انتقلت إليك من عائلتك بالوراثة ولم تكن قد اجتهدت من أجلها! كما أن بعضَ الحيوانات وفيّ وراثيّا وبعض آخر متين وراثيّا وفسلجيّاً! أي لم يكتسبوا هذه الصفات الحسنة بالسعي والجهد ولم يتحمّلوا من أجلها أيّة مشقّة! لا تُعَوّل على محاسنك التي ورثتها من أسرتك! لا أعني أن تخالِفَها! اعمل وفقها ولكن لا تعدّ هذه المحاسن الوراثيّة فضيلةً لك! نحن لا نعبأ بالملكات النفسانية التي هي موضوع علم الأخلاق كثيرا. إنّ ما يهمّنا هو «سعي الإنسان» وهو قرين بالمشقّة! إن اكتساب الأدب غير هيّن. فقد قال أمير المؤمنين(ع): «النَّفْسُ مَجْبُولَةٌ عَلَى سُوءِ الْأَدَبِ وَ الْعَبْدُ مَأْمُورٌ بِمُلَازَمَةِ حُسْنِ الْأَدَبِ وَ النَّفْسُ تَجْرِي فِي مَيْدَانِ الْمُخَالَفَةِ وَ الْعَبْدُ يَجْهَدُ بِرَدِّهَا عَنْ سُوءِ الْمُطَالَبَةِ فَمَتَى أَطْلَقَ عِنَانَهَا فَهُوَ شَرِيكٌ فِي فَسَادِهَا وَ مَنْ أَعَانَ نَفْسَهُ فِي هَوَى نَفْسِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ نَفْسَهُ فِي قَتْلِ نَفْسِهِ.» [مشكاة الأنوار/ص٢٤٧] أيّها الفتيان إن سَهُلَ عليكم الالتزام ببعض الآداب فقولوا لوالديكم: «إنّ هذه الآداب هيّنة عليّ، فعلّموني آداباً أكابد مشاقّها شيئاً». إذ تنطلق حركة رشدك عندما تكبدت العناء. إن رشدك في النشاط الذي يستنزف شيئا من جهدك ويكبّدك شيئا من العناء. فعلى سبيل المثال يصعب على البعض قلّة المنام، وعلى البعض الآخر قلّة الطعام. ففي ميسوره حينئذ أن ينطلق من هنا. (أهمية السيطرة على النوم لدى المراهقين في فترة النموّ تغدو أكثر بطبيعة الحال من قلّة الطعام، ولذلك نولي مراقبة النوم والإبكار اهتماماً أكثر) صحيح أن الأدب لا يخلو من مشقّات ولكنه ينطوي على حلاوة أيضا. إنه يحظى بجمال خاص وجذّابيّة خاصّة. فعلى سبيل المثال عندما نسأل الأطفال عن المهنة المفضّلة لديهم، تراهم يرغبون في مِهَنٍ من قبيل مهنة شرطيّ المرور أو الطيّار لكونها تمتاز بزيّ وانضباط وهي تجسّد نماذج من الأدب. قال رسول الله(ص): «مِنَ الرَّزَانَةِ الْمُدَاوَمَةُ عَلَى الْخَيْرِ...» [تحف العقول/ص١٥] إذن إن داومت على الخير تكن رَزِناً ووقورا. إن داومت على الخير ستكره العمل السيئ والقبيح شيئا فشيئا! ثمّ إن كرهت العمل القبيح ستودّ لو ينصحك ناصح أو يعظك واعظ وسترغب في إطاعته. قال الإمام محمد الباقر(ع): «الْأَدَبُ يَكُونُ بِالْيَدِ وَ اكْتِسَاباً، فَمَنْ تَكَلَّفَهُ قَدَرَ عَلَيْهِ» [نزهة الناظر/ص٩٦] ماذا سيحدث إن كان امرءٌ عديم الأدب؟ وماذا سيحصل إن لم يتكبّد أحدٌ عناء الأدب؟ قال أمير المؤمنين(ع): «مَنْ لَمْ يَكُنْ أَفْضَلُ خِلَالِهِ أَدَبَهُ كَانَ أَهْوَنُ أَحْوَالِهِ عَطَبَهُ» [غرر الحكم/٨٩٨٠]

وقال الرسول الأعظم(ص): «مَنْ لَمْ يَتَأَدَّبْ بِأَدَبِ اللَّهِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَات» [مستدرك الوسائل/٢٢٥/١٥] من لم يتأدب بآداب الله ولم يتأدب بأوامر الله ولم ينظّم سلوكه ولم يتجشّم عناء اكتساب الأدب تقطّعت نفسه حسرات، حتى قبل القيامة وفي هذه الدنيا. قال أمير المؤمنين(ع): «وَ مَا الْإِنْسَانُ لَوْ لَا الْأَدَبُ إِلَّا بَهِيمَةٌ مُهْمَلَةٌ» [أعلام الدين/ص٨٤] فلا يكون شبيها بالحيوان الأليف، بل سيغدو حيوانا وحشيّا. ثمّ يقول: «مَنْ طَلَبَهُ صَالَ بِهِ وَ مَنْ تَرَكَهُ صِيلَ عَلَيْه». يبدو أن الصهاينة قد درسوا هذه الكلمات جيّدا. إذ قد شحنوا المجتمعات البشريّة بأنواع الوقاحة، ونظّروا أسساً لها، ودافعوا عن الوقاحة في علوم الحقوق وحقوق الإنسان. لماذا؟ لأنهم يعرفون جيّدا أنّ من ترك الأدب سيُصبح رقّا وضعيفا وجباناً. إن في شتّى الثقافات والأديان مقيّدات تجعل الناس مؤدّبين. بينما يحاول الصهاينة أن يكسروا هذه الحواجز والقيود ليُشيعوا الوقاحة في المجتمعات. ولكنّهم أي اليهود يعيشون في عوائل مؤدّبة. فلماذا يروّجون الوقاحة يا ترى؟ لأنهم يعرفون جيّدا أنه إذا ما انعدم الأدب في مجتمع تسنّى لهم أن يسترقّوا أبناءه. روي عن أمير المؤمنين(ع): «عَدَمُ الْأَدَبِ سَبَبُ كُلِّ شَرّ» [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد/ج٢٠/ص٢٥٨] لابدّ للإنسان أن يلتزم بأدب ويتقيّد بآدابٍ ما. ولا فرق في أن تكون ملتزما بأدب اليابانيّين أو أدب الأفارقة أو غيرهم! المهم هو أن تكون ملتزما بأدب ما! أمّا أن يكون أدبك أدباً إسلاميّا فهذا يقع في الدرجة الثانية من الأهمّية. أما الثقافة الصهيونية فتقول: «كن على رِسلك ولبِّ شهوتك في كلّ لحظة!» واللطيف أنهم في دعاياتهم يصوّرون هذا السلوك الخالي من الأدب إناقةً وحَداثة! بعد ما يُكمل الشابُّ الدراسةَ الثانويّة ويحصل على شهادة الدبلم، إذا كان لا يزال يقول بكل سهولة ومن دون أي حرج: «يُعجبني أن أفعل كذا...» ولا يستحي من قوله هذا، فذلك يدلّ على إفلاس نظام التربية والتعليم! فعند ذلك كلّما علّموا الطفل من علوم فكأنهم سلّموا سيفا إلى سفيهٍ سكران! ولن يجدي هذا التعليم نفعاً. أحد المفاهيم القريبة جدّا من نمط الحياة الإسلامية هو مفهوم التقوى الرفيع. التقوى يفوق الأدب ببِضعة خصائص إضافيّة سارّة جدّا! وأسأل الله أن تتحلّى نمط حياتنا بالتقوى لا بالأدب وحسب! تنطوي التقوى على بِضعة خصال نستعرضها باختصار: الخصلة الأولى هي «الدقّة والمراقبة الدائمتان». التقوى دقيقة جدّا وتستلزم دقّة كبيرة من الإنسان. أمّا الأدب فلا يستلزم هذه الدقّة. طبعا سنطالب في يوم القيامة بالتقوى مضافا إلى الأدب (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِين) [المائدة/٢٧] أمّا في مقام إدارة المجتمع، فلا نريد أن نتعدّى نطاق الأدب في الخطاب، إذ ليس في ميسورنا أن نفرض التقوى على أحد، ولكن يجب علينا أن نشتغل على أدبه! قد لا يرغب امرء في أن يكون متّقيا ولكن لا بدّ له من الأدب! ولذلك نحن ننتقد نظام التربية والتعليم في موضوع الأدب لا التقوى. قد لا يعبأ كثير من النّاس بالتقوى، ولكن يجب أن يتربّوا مؤدّبين لكي لا يشقَوا في هذه الدينا.

الخصلة الثانية هي «ترقّب أوامر الله». الأخرى من خصال التقوى هي أن المتّقي يترقّب «أمر الله». يعني أن التقوى تدفع الإنسان تلقائيّا صوب الأحكام الفقهية. أنا لو كنت في نظام التربية والتعليم، لما كنت أسمح بإدراج درس الأحكام في المناهج حتى صفحة واحدة! لماذا؟ لأنه إذا ربّينا الطفل مؤدّبا ومتّقيا سيذهب باحثا بنفسه عن الأحكام المبتلى بها ويتعلّمها. أما إذا أردنا أن نفرض عليه تعلّم الأحكام الإسلاميّة قهراً فلا يزداد إلا نفورا! الخصلة الثالثة في التقوى هي «وجود الدوافع والحوافز الإلهية». إن حافز المتّقي إلى مراعاة الأدب وامتثال الأوامر هي: «من أجلك اللهمّ فقط! أريد أن أتقرّب إليك؛ هذا الذي يؤرّقني». وإن هذا الحافز يزيد الحياة حلاوةً. حاول أن تعيش هذه الحالة بنفسك. فقل: «ما الذي أراعيه والتزم به يا ربّ لكي أصل إليك؟» فعند ذلك وبعد ما تنال الوصال بالله ستذوق توّاً معنى الحياة والعبادة. من الذي يطبّق الأحكام الشرعيّة؟ من كان نمط حياته منسجما مع هذه الأحكام! ماذا يجب فعله من أجل أن تسهل الصلاة على الشباب؟ يجب أن يكون الصبيّ مؤدّبا! ليس الأدب أحد أجزاء الأحكام الشرعيّة، بل هو يرتبط بنمط الحياة! ولكن إن كان الطفل مؤدّبا خفّت عليه الصلاة. عند ذلك بمجرّد أن قلت له: «الصلاة واجبة» يصلي بسهولة، إذ لن يجدها عسيرة. أمّا الآن فلماذا لا يصلّي؟ لأنّ نمط حياته قد لقّنه الكسل ولم يعلّمه الأدب، لكي يستمتع بمراعاته. يسألني «كيف أجعل ابني يصلّي؟» أفهل جعلته منظّما في جميع مجالات حياته؟ يقول: «لا». إذن لن يصلّي! الصلاة سهلة لمن كان له عشرون عملا في برنامجه اليومي، وينجزها جميعا بالرغم على هواه والتزاما بالأدب.

بسم الله الرحمن الرحیم

نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة٩)

عليرضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: شهر المحرّم ١٤٣٣
المكان: مهديّة طهران
الموضوع: نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة٩)

لابدّ لنمط الحياة من أن يبلغ بنا إلى ذروة اللذّة والقوّة/ ما هي الأصول الموضوعة التي تعيننا على تصميم نمط حياة صحيح؟

ما هي أهداف نمط الحياة المفضّل لديكم؟

1. **يزيدنا لذّةً في الحياة الدنيا والآخرة**
2. **يزيدنا قوّة سواء على المستوى الفردي والشعبي**
3. **يفعّل مواهبنا وطاقاتنا**

الأصول الموضوعة لتصميم نمط حياة صحيح:

1. **التجهّز بالعلم والتفكير المنطقي وقوّة التحليل العميق**
2. **السعي والجهد ومجاهدة طلب الراحة**
3. **التحلّي بالنظم والالتزام ببرنامج**
4. **إنتاج القيمة المضافة في مجال المال والعلم والخدمات و...**

من كان في حياته ملتزما ببرنامج، فإنه إذا تلقّى برنامجا آخر من الله تقبّله ونفذه بسهولة

إن بعض الروحيّات المعنويّة العالية لن يتحلّى بها من لم يكن من أهل توليد الدخل

إليكم أهمّ المقاطع من المجلس التاسع من سلسلة محاضرات عليرضا بناهيان في جامعة الإمام الصادق(ع) تحت عنوان «نمط الحياة، أوقع تأثيرا من العلم والإيمان»:

ما هي الأصول الموضوعة التي يجب أن نأخذها بعين الاعتبار في سبيل تصميم نمط حياة حسن؟ ومن أجل ألّا نصمم نمط حياة خاطئاً ما هي الأصول التي يجب أن نأخذها بعين الاعتبار؟ وأساسا من أين يمكننا أن نفهم مدى صواب نمطِ حياةٍ أو عدمه؟ إذا أردنا أن نحصل على نمط حياة صائب في مجتمع ينطوي على أناس بشتى النزعات والسلائق وبمستويات مختلفة من التعقّل، فلابدّ أن نأخذ «القدر المشترك» بعين الاعتبار. نحن لا نستطيع أن نضبط دين الجميع ومن ثم نعمد إلى نمط الحياة! فإن نمط الحياة مقدّم على تديّن الناس. طبعا لا يخفى أن الناس يستلهمون نمط الحياة من مثلهم ورؤيتهم الكونيّة، والمتديّن منهم يسعى لئن يأخذ نمط حياته من دينه، ولكن في ميسور نمط الحياة أن تَفرُض نفسها في أوساط المجتمع كـ «عهد مشترك» قبل أن يأتي ذكر للدين، وهذا أمر ضروريّ لابدّ منه.

كثير من الأسس والأصول الموضوعة لنمط الحياة هو مما يمكن إثباته عبر العلوم الطبيعية وينسجم مع الرؤية الدينية والرؤية الكونية التوحيدية تجاه الإنسان والوجود. كما يسعنا أن نستعين بالدين كثيرا من أجل اكتشاف هذه الأصول الموضوعة. وكونوا على ثقة بأننا بعد الإقرار بهذه الأصول سنحتاج إلى الدين في مرحلة تصميم نمط الحياة ليرشدنا إلى اتخاذ الإجراء المناسب في كل موقف. فإن الدين لخير دليل في هذه المرحلة أيضا. إذا أردنا أن نحدد تفاصيل نمط الحياة، فإنه مشروع يستنزف جهدا كبيرا، ولكن في ميسورنا أن نتفق على الخطوط العامّة أوّلا، ومن ثمّ بإمكان كلّ عائلة أن تصمّم في البيت على ضوء هذه الخطوط العامّة خططا جميلة وأطروحات بديعة لطيفة. في كثير من المواطن لابد للناس من الإبداع. كما أن الدين لم يتصدَ لتغطية ٢٤ ساعة من الليل والنهار عبر الأحكام الشرعية والحلال والحرام. بل ترك لنا غير قليل من مناطق الفراغ لنباشر بأنفسنا تشخيص المصداق الصائب. ما هي الأهداف التي تصبو إليها هذه الأصول الموضوعة التي نريد أن نعدّها لنمط الحياة؟ ما هي أهداف نمط الحياة المحبّذ لدينا؟ وإلى أين يجب أن يبلّغنا؟ ١. أن يزيدنا لذّة من الحياة. (فإن كانت الآخرة موجودة زادنا لذة في الآخرة، وإن لم تكن، فزادنا لذة في هذه الدنيا) ٢. أن يزيدنا قوّة روحيّة وجسمية وفكرية واجتماعية وقومية وغيرها... ٣. أن يفعّل مواهب الإنسان وطاقاته. لا مجال لبعض المفاهيم المشهورة في هذه الأهداف العالية والجامعة، من قبيل مفهوم الحرّية! طبعا الحرّيّة شيء مطلوب، ولكنّها ليست هدفا بنفسه، وإنما وسيلة لإيصالنا إلى هذه الأهداف السامية من القوة واللذة العالية وازدهار المواهب. لقد خدعوا أبناء البشر بمفهوم الحرية. واللطيف أن الصهاينة الذين هم ألدّ أعداء البشر هم أكثر الناس يدقّون على وتر الحرّية ويهتفون به! هم يضخمون مفهوم الحرية أمام أعين الناس ويُعمونهم عن النظر إلى الأهداف الإنسانية الراقية. فليطلقوا شعار القوّة بدلا عن شعار الحرية إن كانوا صادقين وليقولوا: «يجب أن يكون الناس أقوياء»، إذ بعدما قوي الناس فلا يعود في ميسور أحد أن يسلب أحدا حرّيتَه. وإذا تجهّزوا بالقوّة تيسّر لهم أن يوفّروا حرّيتهم وينتفعوا ويستمتعوا بها. بينما إن كانوا ضعفاء فلن يقدروا على الانتفاع بحرّيتهم ولو كانوا أحرارا. فما قيمة هذه الحرّية عندئذ؟! ترى الصهاينة الذين قبضوا على جميع وسائل الإعلام في العالم تقريبا، يهتفون باسم الحرّية أكثر من غيرهم! وفي ذلك تناقض واضح. وكذلك يمكن أن تفهم القوّة تحت مفهوم اللّذة، إذ من أبرز العوامل التي يستمتع بها الإنسان هو القوّة! ولكننا نسلّط الضوء على القوّة كهدف مستقل إلى جانب اللذة، انطلاقا من عداوتنا لمشروع الصهاينة.

إنهم يقولون: استمتعوا بكلّ شيء ما عدا القّوة. فلا تدنوا من القوّة فإنها حكر لنا! انطلقوا وكونوا عبيداً تستمعون بلذائذ كالرقص ونحوه. ولكن قولوا لهم: كلا! أنا أريد أن أستلذ بالقوّة، فلماذا قد استوليت على كلّها ونهبتَ ثروات العالم برمّتها؟! القوّة ـ أساساً ـ مهمّة لدى الإنسان ومن لم يعبأ بها فهو مغرّر به! لابدّ أن نستمتع بالقوّة الوطنيّة والفرديّة. يجب أن يكون نمط حياتنا بحيث يبلّغنا إلى ذروة القوّة. ليت أن ينهدم درس الأخلاق الذي يليّن الناس كالخراف والنعاج ليتسنّى على الذئاب افتراسهم وتمزيقهم بأبسط ما يكون! أي درس أخلاق هذا، حيث يوصّينا بالتواضع والرأفة والقناعة، ولكنّه لا يوصّينا باكتساب القوّة! إذن لابدّ أن نصمّم نمط الحياة بحيث نكتسب بها أقصى حظوظ اللذّة وأعلى درجات القوّة! لماذا نرى العلماء الربانيين والعرفاء الذين ارتقوا إلى القمّة في التقوى والمعنوية، قد حظوا بأعلى درجات القوّة أيضا؟! لأن القوّة هي أول ما يغدق به الله على إنسان معنويّ. كما أن الإمام صاحب العصر والزمان(عج) سيزيد قوّة كل مؤمن أربعين ضعفاً؛ «لَمْ يَبْقَ مُؤْمِنٌ إِلَّا صَارَ قَلْبُهُ أَشَدَّ مِنْ زُبَرِ الْحَدِيدِ وَ أُعْطِيَ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلا» [الغيبة للنعماني/٣١٠] إذا كان الإنسان قويّا صار سياسيّا أيضا فعندئذ لن يسمح بترؤس الضعاف من السياسيّين. إن رغبت في القوّة الروحية والقوّة الاقتصادية وغيرها، عند ذلك سوف لن ترضى بكثير من نماذج نمط الحياة الغربية والرأسمالية! بعد ما انتهينا من بيان الأهداف، نأتي إلى الأصول الموضوعة التي يجب أن نأخذها بعين الاعتبار للحصول على نمط حياة جيّد. الأصل الأول: هو أن الإنسان لا يزال بحاجة إلى العلم والتفكير المنطقي والقدرة على التحليل العميق. فإن هذه المعرفة والتفكّر هما من احتياجات الإنسان الحياتيّة. وقد أعطى الله قيمة بالغة لتفكّر الإنسان. فلا يجوز أن يخلو نمط حياتنا من التفكر والقدرة على التحليل. تلاوة القرآن هي جزء من جدول نمط الحياة الصحيح. كما أنّ أحد آثار القرآن هو أن يضطر الإنسان إلى التفكير. يجب أن يكون نمط الحياة بحيث نزداد علما وقوّة على التفكير والتحليل المنطقي والإبداع الفكري بشكل مستمرّ. نمط الحياة المشحون باستماع الموسيقى والمترع بمشاهدة التلفاز يستدرج الإنسان شيئا فشيئا إلى البَلادة. علينا أن نحظى بنمط حياة يُحترَم فيه الفهم والمعرفة؛ أعني المعرفة المفيدة فقد قال أمير المؤمنين(ع) في وصف المتقين: «وَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُم» [نهج البلاغة/خ١٩٣] فمن جعل المعرفة والتفكّر أصلين من أصول نمط حياته سيحرّم على نفسه التسكّع في الإنترنت! كما روي عن يحيى(ع): «الْمَوْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَظْرَةٍ بِغَيْرِ وَاجِب» [مصباح الشريعة/ص١٠]

فانظر أي صعاب تتجشّمها؟ طبعا لا تحسب منها تلك التي تجشّمتها بانفعال! بل احسب المعاناة التي تصدّيت لها وتقبّلتها. مثل الوالدين حيث يتحمّلان أذى الأطفال، أو المدير حيث يتحمّل أذى من هو دونه. وطّن نفسك في نمط حياتك على أن تتحمّل الصعاب بل تستقبل بعضها. ماذا يكون إن لم تفعل ذلك؟ ستنهال عليك ضِعفا من المعاناة بلا أن تنفعك بشيء! فعلى سبيل المثال إن نأيت بنفسك عن تحمّل معاناة الرياضة، ستباغتك بعد حين معاناة الأمراض ولا فائدة فيها. ومن بين أنواع الرياضات تسلّق الجبال أفضل من كرة القدم مثلا، إذ يستنزف مزيدا من طاقة الإنسان وجهده وأقل منها هيجاناً. الأصل الثالث، هو النظم والالتزام بالبرنامج! لقد ذكر النظم في مطلع وصيّة أمير المؤمنين(ع) إذ قال: «أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّـهِ وَ نَظْمِ أَمْرِكُم» [نهج البلاغة/الكتاب٤٧] كما يجب أن تكتب جدول أعمالك على الورق كجدول الطعام والزيارة والضيافة وغيرها. فمن كان في حياته ملتزما ببرنامج وتلقّى من الله برنامجا إضافيّا تقبّله بسهولة وعمل به. إن معظم تمرّدنا على الدين ناجم من نمط حياتنا الغلط. الأصل الرابع: يجب على كلى امرء أن يتجهّز بفنّ إنتاج القيمة المضافة في مجال المال أو العلم أو في مجال الأعمال الخدمية أو في المجال القضايا المعنوية وغيرها. إن الولع بإنتاج القيمة المضافة والتي نستطيع أن نسمّيها الإبداع هي ناجمة من حبّ الإنسان ربَّه. فإن الله مُبدِع ويودّ الإنسان أن يكون مبدعا مثله. إن إنتاج القيمة المضافة هو ناموس عالم الخلق! يجب علينا أن نلهو بالاستمتاع بخلق الجديد. ويل لمجتمع لا يستمتع شبّانه بخلق الجديد! فبماذا يريدون أن يستمتعوا إذن؟! أبالمجون أو الشهوات أو الموضات أو الشكل والمظهر؟! لا يكفي العمل وعدم البطالة، بل يجب الابتعاد عن الراحة، وأن يسعى الإنسان ويبذل جهده دوماً، وبالإضافة إلى ذلك لابدّ من إنتاج القيمة المضافة. طبعا لا يخلو إنتاج القيمة المضافة من آداب. فعلى سبيل المثال ليس إنتاج القيمة المضافة في أن تدع أموالك في المصرف، بل عليك أن تشغّلها بنفسك. إن بعض الروحيّات المعنويّة العالية لن يتحلّى بها من لم يكن من أهل توليد الدخل. إن لم تكسب مالا فلا بأس، ولكن باشر عملا فيه قيمةٌ مالية على الأقل. لماذا لا نرى في جوار كلّ مسجد غرفة أو دارا تجتمع فيها نساء الحيّ ويباشرن أعمال التصنيع؟! يؤكد عليهنّ إمام الجماعة ألّا يذنبن، ولكن ماذا يفعلن إن لم يجدن عملا آخر؟! ألم يأت في الأخبار أن البطالة مَفسَدة للإنسان؟! نحن لا نقضي على البطالة ولا نوطّئ للقضاء عليها ثمّ نوصي الناس أن لا تذنبوا! لا يمكن ذلك! إذ لابدّ للناس جميعا من أن يلهَون بعمل ما.

ما هو عدوّ إنتاج القيمة المضافة؟ الحياة الوظيفيّة! بمعنى أن يملأ الإنسانُ ذهنَه بالمعلومات ثمّ يتعيّن في مكان ويستلم راتباً! إنه لقبيح جدّاً! فلتكسب المال بفنّك وجدارتك وإبداعك! لماذا ترى كثيرا من الموظّفين في بعض الدوائر التي من شأنها أن تسهّل العمل والإنتاج، يعرقلون الصناعة والإنتاج؟ لأنهم في طوال حياتهم لم يعملوا ولم يكسبوا مالا! فترى أحدهم يرتشي ولا يرحم! اسألوا أصحاب المعامل وانظروا كيف يضجّون من سوء تعامل الدوائر الحكوميّة! ألم يقل أمير المؤمنين(ع) ألّا تكن موظّفا مهما استطعت؟! «إِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ» [نهج البلاغة/الكتاب٣١] إذن كيف أكسب المال؟ بجدارتك. إن لم تمنح المدرسةُ الطلابَ هذه الجدارة، ففي ميسور التعبئة أن تعلّم شباب المسجد جدارةَ كسب المال. أينما ذهبت يجب أن تقوم بإنتاج القيمة المضافة، وعليك أن تجهّز نفسك بمهارة اكتساب المال. بدلا من لهوك بحاسوبك وجوّالك، لو كنت تشتغل في إنتاج البرمجيّات، لكنت قد احتللت نسبةً من السوق العالمي الذي احتلّته الهند عبر إنتاج البرمجيّات!

بسم الله الرحمن الرحيم

نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة١٠)

علي‌رضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: شهر المحرّم ١٤٣٣

المكان: مهديّة طهران

الموضوع: نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة١٠)

نحن بحاجة إلى حركة اجتماعية «حركة التحوّل الاجتماعية في نمط الحياة وأسلوب الحكم»/ إذا أوصينا المؤمن باكتساب المال فليس هذا ترويجًا للترف/ لنقرّر معا من أي مصنع نشتري بضائعنا/ إن اتحدنا وانسجمنا معا نصبح قوّة اقتصادية عظمى/ المسجد الذي لا يتدخل في نمط حياتنا فإنه ليس بمسجد ثوريّ بل علمانيًا

إليكم أهم المقاطع من المجلس الأول من سلسلة محاضرات عليرضا بناهيان في جامعة الإمام الصادق(ع) تحت عنوان «نمط الحياة، أوقع تأثيرا من العلم والإيمان»:

إن بعض الرؤى المنفعلة تجاه الدين والتديّن تنفّر ذوي الكفاءات والجدارات من الدين!

إن بعض الرؤى تجاه «الحسن والصلاح» ليست بجيّدة، بل مضرّة. إن كانت رؤيتنا عن حسن الأخلاق ليست سوى أن لا يؤذي الإنسان أحدا ولا يظلم أحدا، وإن كانت رؤيتنا عن الحسن والصلاح وحتى الحسن الشرعي والديني هو أن لا يرتكب الإنسان ذنبا وحسب، دون أن نأخذ بعين الاعتبار باقي مقتضيات حياة البشر، فإن هذه الرؤية مضرّة. إن اقتصرت مؤشّرات التديّن والصلاح على بضعة مؤشّرات من قبيل الكفّ عن الأذى والتواضع والرأفة وأمثالها التي هي مجموعة من الصفات الانفعالية، فإن هذه الرؤية كالسمّ القاتل للمجتمع! هذه النظرة تنفّر الكثير من الدين ولهم الحقّ في ذلك! عند ذلك ترى كثيرا من الأذكياء وذوي الكفاءات يرغبون عن الدين ثم يدخل فيه بعض الضعاف والعجزة من الناس فيضرّون بالدين. من السيئ جدّا أن يعتقد الناس أنه «إنما أولئك الذين لهم فراغ أكثر وليسوا جديرين بإنجاز شيء يتسكّعون في الأوساط الدينيّة!»

التدين المنفعل، يجذب ضعاف الناس إلى الدين لا الأذكياء والأكفاء!

قد يخطر ببال أحد من منطلق الحرص على الشباب أن «ليت كان سن البلوغ واستفحال الغريزة الجنسية لدى الشباب يتأخر سبع سنين مثلا لئلا يقعوا في الذنوب، إذ لا يمكن الزواج في الرابعة عشرة عادةً!» وكأن الله قد أخطأ في التوقيت وبلّغ الشباب سبع سنين أسرع! هذه الفكرة تعني مسح المسألة وتعني التديّن المنفعل! في حين أن هذه الغريزة بمثابة كيس الملاكمة للشاب، أي عليه أن يتخذها وسيلة ليصارعها ويقوى في السيطرة على نفسه ويتجهّز بقوّة جهاد النفس. التدين المنفعل عاجز عن جذب أكفاء المجتمع وأذكيائه، وإنما يجذب ضعاف الناس وهذا لأمر سيئ جدّا. من معاني التديّن المنفعل هو مسح القضيّة! مثل أولئك الذين قالوا ليت الغريزة الجنسية يتأخر نشاطها في الإنسان. أمّا التديّن الفعّال فيقول: «عليك أن تتصدّى لمواجهة بعض المسائل التي تحسبها مثارا للفساد!» حتى قد يقتضي الأمر أن توجدها ثم تقف مستقيما في ساحتها ومناخها ملتزما بدينك!

ليس معنى هذا الكلام هو أن يقحم الإنسان نفسه في جوّ فاسد ثم يحاول أن يلتزم بالتقوى! هذا يعني اختلاق قضيّة سخيفة! أما بعض القضايا فيلزمك أن تخوضها مثل اكتساب المال، أو جعل المسجدِ ملتقى أصحاب المشاريع وريادة الأعمال! نعم، قد يشبّ نزاع بينهم على مال، ولا بأس، إذ هذه أيضا قضيّة يجب أن نخوضها.

المسجد الذي لا يتدخل في نمط حياتنا فإنه ليس بمسجد ثوريّ بل علمانيًّا

ألا ينبغي للمسجد أن يكون موطنا للتعامل الاقتصادي؟! وهل يدّعي العلمانيّون شيئا غير هذا؟! إنهم يقولون: «فلينأَ أصحاب القداسة والروحانية بأنفسهم عن السياسة لكي لا يفسدوا!» وهذا الكلام يشبه ذاك الكلام! كم بالمئة من مساجدنا رفعت راية العلمانية في ثقافة المسجد؟ ليست مخالفة العلمانية في أن تهتفوا بالموت لإسرائيل في أروقة المسجد فحسب! وإنما محاربة العلمانية في أن تقضوا على إسرائيل في المسجد ولا يتمّ هلاكها إلا عن طريق المساجد! هل من الصحيح أن تنسحب المساجد عن نمط حياتنا والجزء الرئيس منه أي شغلنا ودخلنا، ثم يهتف فيها بالموت على أمريكا وإنكلترا وحسب! أوهل هذا المسجد ثوريّ؟!

ما هي الأصول الموضوعة لتصميم نمط حياة صحيح؟

حدثنا في المجلس السابق أربعة أصول لنمط الحياة الصحيح والكفوء باسم «الأصول الموضوعة لتصميم نمط الحياة» فنضيف إليها في هذا المجلس ثلاثة أخرى: الأصول الأربعة السابقة هي: ١ـ اكتساب العلم والفكر الوقّاد والنقّاد والمحلل والمنتج ٢ـ السعي وبذل الجهد وتجشّم العناء والتهرّب من طلب الراحة ٣ـ جدولة الأعمال والنظام وقبول التكليف وتجنب النشاطات والحياة المبعثرة وغير المنتظمة ٤ـ إنتاج القيمة المضافة حتى في الجانب المالي! (إذ الشخصية الاستهلاكية قبيحة جدّا) إن أنتجت قيمة مضافة مع مراعاة التقوى، عندئذ تكون كرجبعلي الخياط! يقول أحدهم: إني طالب جامعي جيّد، ولكنّي لا أكتسب مالا غير أني ولد صالح! لقد جاء في الحديث أنه «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا نَظَرَ الرَّجُلَ فَأَعْجَبَهُ قَالَ هَلْ لَهُ حِرْفَةٌ فَإِنْ قَالُوا لَا قَالَ سَقَطَ مِنْ عَيْنِي» [جامع الأخبار/ص١٣٩]

لم تتحرّك فينا بعد عَجَلة الجهاد بالمال/ أين المجاهدون بأموالهم؟

هناك موضوع قرآني مهم لم ينشط فينا ـ في هذه الثورة ـ بعد! ينطلق الجهاد في القرآن أولا بالمال ثم بالنفس! نحن قد جرّبنا الجهاد بالنفس وقدّمنا كل هؤلاء الشهداء. ولكن أين شهداء الجهاد بالمال؟ وأين جرحاه يا ترى؟ رأيت أخيرا كتاب ذكريات الجهاد بالمال أو المضحّين بالمال. فإنه يستعرض ذكريات أولئك الذين عمدوا إلى إنشاء معمل أو مصنع، ولكن منظمة التأمين الاجتماعي بطشت بهم وقضت عليهم عبر قوانين التأمين التي معظمها غير شرعية. كان بإمكان هؤلاء الرياديّين أن يستثمروا أموالهم في مجال العقارات، ولكنّهم رجّحوا الإنتاج على ذلك فأنشأوا مصانع صغيرة وسريعة العوائد، أما التأمين الاجتماعي تسبّب في كبوتهم! لقد أعلن التأمين يوماً أنه إذا كان لديكم خمسة عمّال يعفى صاحب المشروع من دفع أقساط التأمين لمدة خمس سنين، فتحفّز كثيرون وأنشأوا مصانعهم، ولكن قبل انتهاء السنين الخمس تشبثت منظّمة التأمين بذرائع وفرضت عليهم ـ عبر قرارات ومصوّبات لم تكن بالحسبان ـ رسوما وغرامات. قال مدير أحد المصانع: لم نكن نعلم بوجود هكذا تعميم! لم أكن أعلم بأني لست معافا عن هذه الرسوم وكانت خفيّة لديّ!

لقد قدّم القرآن الجهادَ بالمال على الجهاد بالنفس/ لماذا لا تعمل المساجدُ والأوساط التعبويّة على ترويج ثقافة الجهاد بالمال

لقد قدّم القرآن الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس؛ (جَاهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَ أَنفُسِهِم) [التوبة/٨٨] فأين نباشر الآن الجهاد بالمال؟ أين يطبّق هذا القسم من القرآن؟ لماذا لا يعمل الثوريّون والتعبويّون على ترويج ثقافة الجهاد بالمال؟ لماذا لا يبرمج لإنجاز هذا الأمر في المساجد؟ هل تعلمون أن الإمام الحسين(ع) قد جاء بأموال واشترى أرض كربلاء؟! كما أنه بذل الماء لشراء السلاح وزاد السفر. ثم الإمام زين العابدين(ع) أنفق لإقامة المآتم على الحسين(ع). وكانت هذه الأموال حصيلة سنين من الزراعة والتجارة.

لا ينبغي أن تقتصر على حاجتك في مسار إنتاج القيمة المضافة!

لا ينبغي أن تكتفي في إنتاج القيمة المضافة بحاجتك وحسب. وهل كانت البساتين التي أنشأها أمير المؤمنين(ع) في المدينة والآبار التي حفرها والمال الذي اكتسبه بمقدار حاجته؟! كلا؛ كان أكثر من حاجته! ترى الشابّ المتديّن لا يكتسب المال ويقول: «أخشى أن أفسد!» طيب ولكن لعلك تفسد من دون مال، بل أنت خربان من الآن! ما معنى هذا الكلام؟! إن علّموك القناعة ولكن لم يقرأوا عليك هذا الحديث الذي يقول: «لا خَيرَ فيمَن لا يُحِبُّ جَمعَ المالِ مِن الحَلالِ» [الكافي/ج٥/ص٧٢] فقد علّموك دينا انفعاليّا مضرّا للمجتمع!

الأصل الخامس: الاستقلال الروحي والشعور بالمسؤولية

الأصل الخامس من الأصول الموضوعة لنمط الحياة هو الاستقلال الروحي والشعور بالمسؤولية. يجب أن يكون نمط حياتك بحيث تصبح إنسانا مستقلّا ولا يؤثّر فيك استهزاء الناس. فإن كانوا على باطل، ينبغي أن تكون شجاعا ولا تهتزّ بتيّاراتهم. لا تصلُح جزافاً! فإن صَلُحتَ بلا استقلال وجَرَفَتك موجةٌ أقحمتك في الصالحين، تُغَربَل وتَسقُط بعد حين! يسقط غير قليل في غربلة آخر الزمان وجميع فتن آخر الزمان هي من أجل الغربلة. إذ كلما كثر أصحاب الدين وروّادُه غربلهم الله! يقول الإمام الرضا(ع) في فتن آخر الزمان: «يَسْقُطُ فِيهَا كُلُّ وَلِيجَةٍ وَ بِطَانَةٍ» [الغيبة للنعماني/ص١٨١] الوليجة بمعنى إنسان مؤثر وذي نفوذ تقتنع بكلامه وتأخذ به عادةً! سقوط الولائج بمعنى أن يجب على كلّ امرء أن يعرف الحقّ وتكليفه بنفسه! فماذا يكون دور العلماء إذن؟ سيظهر في آخر الزمان علماء بأنواع وأشكال مختلفة، فعليك أن تشخّص أيّهم أولى بالاتباع؟

كن مستقلاّ في مالك وشغلك؛ فلا يحسن أن تكون موظّفا!

الاستقلال يشمل الاستقلال في الفكر والشخصية والروح وحتى في المال. لا يكفي أن ننتج القيمة المضافة في جميع المجالات، بل يجب علينا الاستقلال أيضا. فعلى سبيل المثال إذا أنتجت قيمة مضافة ولكنّك أصبحت موظّفا يستلم راتباً شهريّا فهذا ليس بجيّد. عليك بالاستقلال في المهنة والمال ولا تكن أجيراً! سئل الإمام الصادق(ع): «الرَّجُلُ يَتَّجِرُ فَإِنْ هُوَ آجَرَ نَفْسَهُ أُعْطِيَ مَا يُصِيبُ فِي تِجَارَتِهِ فَقَالَ لَا يُؤَاجِرْ نَفْسَهُ وَلَكِنْ يَسْتَرْزِقُ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ وَ يَتَّجِرُ فَإِنَّهُ إِذَا آجَرَ نَفْسَهُ حَظَرَ عَلَى نَفْسِهِ الرِّزْقَ» [الكافي/ج/ص٩٠].

إن أصبحت أجيرا أو موظّفا وأنت قادر على أن تكون مستقلاّ فقد حظرت الرزق على نفسك!

لا ريب في أن التجارة مغامرة، والعمل الوظيفي لا يحتاج إلى هذه المغامرة. ولكن الله سيقول لك معاتباً: «ألم تغامر؟ وجعلت نفسك بيد صاحب العمل؟! إذن أحظر عليك رزقك!» لقد قال الإمام الصادق(ع): «مَنْ آجَرَ نَفْسَهُ فَقَدْ حَظَرَ عَلَى نَفْسِهِ الرِّزْقَ... وكَيْفَ لَا يَحْظُرُهُ وَ مَا أَصَابَ فِيهِ فَهُوَ لِرَبِّهِ الَّذِي آجَرَهُ» [الكافي/ج٥/ص٩٠] هل تعترفون بأن عمل الموظّف أضعف ممّن يعمل لنفسه؟ أتعلمون أن الحياة الوظيفيّة تعبّد طريق الناس إلى أكبر أنواع الفساد؟! أتعلمون أن في البلد الذي يزيد فيه الموظّفون وتسود فيه ثقافة التوظيف والتعيين فإنه تتحطّم فيه ثقافة العمل والتجارة؟! التاجر الذي يسرق هو أشرف من الموظّف الذي يرتشي ويقف حجر عثرة أمام رواج التجارة!

لعلكم تسألون: «ولكن كل مصنع يحتاج إلى بضعة عمّال وموظّفين. فلا يمكن أن يكون كلّهم أصحاب العمل!» نعم؛ إذا اضطر الإنسان إلى العمل الوظيفي فلا بدّ من ذلك ولكن لا تجعلوا أنفسكم موظّفين مهما استطعتم. كما لا ريب في أن كثيرا من الموظّفين شرفاء، ولكن الكلام هو أن العمل الوظيفي ليس بمحبّذ، إلا أن يضطرّ الإنسان إلى ذلك!

لقد لقّنونا الصهاينة أن: «لا تطلبوا المالَ لكي لا تفسدوا!»

لماذا عندما أكون بصدد الحديث عن نمط الحياة، يجرّني الموضوع إلى الكلام عن العمل والمهنة وكسب المال؟ لأن النبي الأعظم(ص) قال: «الْعِبَادَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ تِسْعَةُ أَجْزَاءٍ فِي طَلَبِ الْحَلَالِ» [جامع الأخبار/ص١٣٩] وكذلك قال الإمام الباقر(ع): «الْعِبَادَةُ سَبْعُونَ جُزْءاً أَفْضَلُهَا طَلَبُ الْحَلَالِ» [الكافي/ج٥/ص٧٨] أعتقد أن العالم إذا لم يحدث الناس عن كسب المال ثم تحدث عن باقي المواضيع الدينية، فإنه سوف يحرّف دين الناس بإيحاء كلامه! من صلح كسبه وعمله فقد صلحت تسعة أعشار من خلقه وروحياته ومعنويّاته. فما قيل من أن «من دخل في العمل والاقتصاد يفسد» غير صائب. هذه تلقينات الصهاينة لمجتمعنا لكي نبتعد عن اكتساب المال وتخلو الساحة لهم! ولذلك أصبح مجتمعنا خالي اليد من مصاديق (جاهَدوُا بأموالِهِم) ولا تكاد ترى سوى الذين (جاهدوُا بأنفُسِهِم).

في مهرجانات الدفاع المقدّس كرّموا رائدي الأعمال لأنهم يجاهدون بأموالهم

قال الإمام الرضا(ع): «الَّذِي يَطْلُبُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَكُفُّ بِهِ عِيَالَهُ أَعْظَمُ أَجْراً مِنَ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» [الكافي/ج٥/ص٨٨] لذلك أرجو أن تكرموا في مهرجانات الدفاع المقدّس رائدي الأعمال إلى جانب عوائل الشهداء، لكي نكون عاملين بقوله تعالى: (جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِم).

إذا أوصينا المؤمن باكتساب المال فليس ذلك ترويجا للترف!

قال رسول الله(ص): «نِعْمَ الْعَوْنُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الْغِنَى» [الكافي/ج٥/ص٧١] فإذا أوصينا المؤمن باكتساب المال فليس ذلك ترويجا للترف. لقد نسب البعض إليّ بناء على ما قلته قبل عدّة سنين أن: «الشابّ الثوريّ الذي ليس له مال فهو عاجز غير جدير!» بينما ما قلته هو: «إذا كان فقر العنصر الثوري ناجما عن عدم كفاءته، فلا يعزونّ ذلك إلى زهده، بل عليه أن يبذل جهده ويكتسب المال.» فإن غَنِي فقد أغناه الله وإلّا فقد أفقره الله وهنا يسعه أن يفخر بفقره.

غنى المؤمنين من لوازم حفظ الدين

قال الإمام الصادق(ع): «إِنَّ مِنْ بَقَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَبَقَاءِ الْإِسْلَامِ أَنْ تَصِيرَ الْأَمْوَالُ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ فِيهَا الْحَقَّ وَيَصْنَعُ فِيهَا الْمَعْرُوفَ فَإِنَّ مِنْ فَنَاءِ الْإِسْلَامِ وَ فَنَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ تَصِيرَ الْأَمْوَالُ فِي أَيْدِي مَنْ لَا يَعْرِفُ فِيهَا الْحَقَّ وَ لَا يَصْنَعُ فِيهَا الْمَعْرُوفَ» [الكافي/ج٤/ص٢٥] وعن رسول الله(ص): «إذا كانَ في آخِرِ الزَّمان لابُدَّ لِلنّاس فيها مِنَ الدّراهِمِ و الدَّنانير، يُقيمُ الرَّجُل بِها دينَهُ و دُنياهُ» [كنز العمّال/٦٣٣٣]

الأصل السادس: الحياة الجماعية؛ التوطّن على الحياة الجماعية والتنظيميّة والتجهّز بمهارة التعاون

الأصل السادس من الأصول الموضوعة لنمط الحياة هي: التوطّن على الحياة الجماعية واكتشاف قابليّات الحياة التنظيميّة والتجهّز بمهارات وقدرات التعاون على البرّ والتقوى (تَعاوَنوُا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى) أي اشحذوا هممكم لإنجاز الأعمال الصالحة. فمن لم يكتسب قابلية الحياة الجماعية ويلتزم الصلاح في عزلته، فهذا ضرب من ضروب العلمانية! سألت الناس في مسجد: كم منكم أودع أمواله في المصرف؟ فرفع الجميع يده تقريبا. فسألتهم عن سبب ذلك، وقلت لهم: تكاثر المال يصنع سرّاقا بطبيعة الحال وأنتم تعلمون أن المصارف يكتسبون المال غالبا عن طريق الدلالة. هم يقولون أنفسهم بأن معاملنا ومصانعنا مفلسة، لذلك فعندما تودعون أموالكم في المصارف فإنه يتسبّب في ازدياد الغلاء كما قد ينهبها أحد برمّتها! هذا بالإضافة إلى أن أكثر المصارف يكتسبون الأموال عن طرق غير شرعيّة. فقلت لأهالي ذاك المسجد: تعالوا واجمعوا أموالكم وابدأوا بمشروع. قالوا: لسنا بقادرين على استثمار أموالنا. قلت: أنا أعرف مجموعة من طلاب الجامعة المتخصصين في الصنائع المعرفيّة، فأودعوهم أموالكم لينشؤوا معملا أو مصنعا لكي لا يضطروا إلى استقراض المصارف لتقسو عليهم المصارف!

لماذا لا يجمعون المؤمنون في المسجد أو الهيئة أموالهم ليؤسسوا بها شركة تعاونية؟

لماذا لا يعتمد المؤمنون في المسجد أو الهيئة بعضهم على بعض ولا يجمعون أموالهم ليؤسسوا بها شركة تعاونية؟! لعلّهم يقولون: «ما أكثر الشركات التعاونية التي أنشئت ثم تآمر بعض أعضائها على الآخر» أفهل أسست هذه الشركات في المسجد أو الهيئة؟! كلا! وحتى إن أخطأ أحدهم في المسجد أو الهيئة فهناك حلول لتدارك الأمر. لقد شرح الشيخ الشاه آبادي أستاذ الإمام الخميني(ره) في العرفان في كتابه «شذرات المعارف» كيف يتسنّى للمؤمنين الذين كوّنوا بينهم تنظيما إذا طرأت بينهم مشكلة أن يعالجوها من دون حاجة إلى مراجعة المحاكم القضائية.

«قِيلَ لِأَبِي جَعْفَرٍ ع إِنَّ أَصْحَابَنَا بِالْكُوفَةِ لَجَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ فَلَوْ أَمَرْتَهُمْ لَأَطَاعُوكَ وَ اتَّبَعُوكَ قَالَ يَجِيءُ أَحَدُكُمْ إِلَى كِيسِ أَخِيهِ فَيَأْخُذُ مِنْهُ حَاجَتَهُ فَقَالَ لَا فَقَالَ هُمْ بِدِمَائِهِمْ أَبْخَلُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ النَّاسَ فِي هُدْنَةٍ نُنَاكِحُهُمْ وَ نُوَارِثُهُمْ حَتَّى إِذَا قَامَ الْقَائِمُ جَاءَتِ الْمُزَايَلَةُ وَ أَتَى الرَّجُلُ إِلَى كِيسِ أَخِيهِ فَيَأْخُذُ حَاجَتَهُ فَلَا يَمْنَعُهُ.» [الاختصاص للمفيد/ص٢٤]

شاركوا كفاءاتكم معا في النشاطات الجماعية

لا نتوقع الآن أن يخبو بريق حدود الملكيّة بينكم! نعم نقول: «أحد شبّان مسجدكم هذا أنشأ مصنعاً معرفيّا وفي ميسوركم أن تستثمروا أموالكم عنده ولكنكم غير مستعدين للمغامرة من أجل أخيكم في الدين! شاركوا كفاءاتكم في النشاطات التنظيمية؛ فلا يقولنّ أحدكم: «أنا أجدر من صاحبي وهو أقلّ كفاءة منّي، فلماذا أعمل أنا أكثر منه ويربح هو بالمال» فإن هذا المنطق بعيد عن نمط تفكير منتظري الإمام! إن اجتمع عشرة وأنشأوا مصنعا إنتاجيّاً وبدأوا يعملون فيه معاً، أصبح كلّهم ـ بطبيعة الحال ـ صاحب مشروع وهم يشتغلون بأنفسهم فلن يكونوا أجراء وموظّفين لغيرهم.

لا يمكن التديّن بصورة فردية فضلا من أن يكون مطلوباً!

كان يقول المرحوم الشاه آبادي أستاذ الإمام الخميني(ره) في العرفان: «لم نُعَلَّم دينًا فرديّاً!» وأساسا لا يمكن التديّن بصورة فرديّة فضلا من أن يكون مطلوباً! فإنك إن لم تنجح بالامتحان في ساحة الحياة الجماعية والتنظيمية فلا يدرى وضعك ومستواك! عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ)ع(فَذَكَرَ مُوَاسَاةَ الرَّجُلِ لِإِخْوَانِهِ وَ مَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْهِمْ فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ إِذَا قَامَ قَائِمُنَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُجَهِّزُوا إِخْوَانَهُمْ وَ أَنْ يُقَوُّوهُمْ. [وسائل الشيعة/ج١٢/ص٢٧] وقال الإمام(ع) في حديث آخر: «إِنَّ أَصْحَابَ الْقَائِمِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَلْقَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً كَأَنَّهُمْ بَنُو أَبٍ وَ أُمٍّ، وَ إِنِ افْتَرَقُوا عِشَاءً الْتَقَوْا غُدْوَةً» [دلائل الإمامة/ص٥٦٢] وكذلك روي عن عَلِيِّ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ع عَنِ الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَ أَنَّ مَنْ كَانَ بِالرَّهْنِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ فَقَالَ ذَلِكَ إِذَا ظَهَرَ الْحَقُّ وَ قَامَ قَائِمُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ قُلْتُ فَالْخَبَرُ الَّذِي رُوِيَ أَنَّ رِبْحَ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ رِبًا مَا هُوَ قَالَ ذَاكَ إِذَا ظَهَرَ الْحَقُّ وَ قَامَ قَائِمُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَ أَمَّا الْيَوْمَ فَلَا بَأْسَ بِأَنْ يَبِيعَ مِنَ الْأَخِ الْمُؤْمِنِ وَ يَرْبَحَ عَلَيْهِ.» [من لا يحضره الفقيه/ج٣/ص٣١٣]

علينـا أن نتعلّـم الحيـاة الجماعيـة فـإن الإمـام الحجـة(ع) قـد كتـب في توقيعـه الشريـف إلى الشـيخ المفيـد(ره): «وَ لَـوْ أَنَ أَشْـيَاعَنَا وَفَّقَهُـمُ اللَّـهُ لِطَاعَتِـهِ عـلى اجتـماعٍ مِـنَ الْقُلُـوبِ فِي الْوَفَـاءِ بِالْعَهْـدِ عَلَيْهِـمْ لَـمَا تَأَخَّـرَ عَنْهُـمُ الْيُمْـنُ بِلِقَائِنَـا» [الاحتجـاج/ج٢/ص٤٩٩]

ما لم تدخل القضايا الماليّة في حياتنا الجماعيّة فإنها لم تعدُ المزاح!

الأصـل السـادس مـن الأصـول الموضوعـة هـو «الحيـاة الجماعيـة». لابـدّ لنـا مـن تجربـة الحيـاة الجماعية والتـدرّب عليهـا. ومـا لم تدخـل القضايـا الماليّـة في حياتنـا الجماعيـة فإنها لم تعدُ المزاح! يسـلّم في المسـجد بعضنـا عـلى بعـض ولكـن يمـرّ كلّ بالآخـر مـرّ الكـرام مخافـة أن يأتيـه أحـد ويسـتقرضه مـالا! ليـس في هـذه الأصـول السـتّ التـي ذكـرت شيءٌ مـن الإيمـان باللـه والرسـول(ص) ولذلـك فيمكـن اقتراحهـا عـلى المجتمعـات الملحـدة أيضـا، عـلى الرغـم مـن كونهـا مـن وصايـا الديـن، ولكـن في ميسـورنا أن نـوصّي بهـا الملحديـن أيضـا؛ أي نقـول لهـم: ينبغـي أن تتحـلى حياتنـا بهـذه الخصائـص السـتّ: «العلـم والفكـر»، «بـذل الجهـد وتجشّـم العنـاء»، «النظـم والتجهّـز بجدول أعـمال»، «إنتـاج القيمـة المضافة»، «الاسـتقلال في الـروح والشـخصية والمـال» و «خـوض غمـرات الحيـاة الجماعية والتنظيميـة وحمل همـوم اجتماعيّة»

الأصل السابع: التحلّي بأهداف عالية وسامية

هنـا يـأتي هـذا السـؤال: هـل للّـه عـز وجـل مكانـة في أصـول نمـط حياتنـا؟ ألا ينبغـي أن نحيـى حيـاة يكـون للّـه فيهـا أثـر ووجـود؟ أولا الأصـول التـي سـطّرناها إلى الآن توفّـر أرضيـة عبـادة اللـه؛ يعنـي أنّ نمـط الحيـاة هـذه في الواقـع تمثّـل مقدمـة لعبـادة اللـه. هنـا نصـل إلى الأصـل السـابع والأخـير: الأصـل السـابع لصياغـة نمـط الحيـاة هـو: يجـب أن نحيـى حيـاة ونصـوغ نمـط حياتنـا بحيـث تكـون أهدافنـا السـامية فيهـا أعـلى مـا يمكـن أن يتصـوره البـشر!

نمط الحياة الصحيح هو الذي ينطوي على هدف عالٍ/ إن أردت اتخاذ هدف عالٍ ستصل لا محالة إلى اللّه

لا تقنـع بالهـدف القليـل! فـإن القناعـة في مقـام الاسـتهلاك؛ أمـا أن يقنـع امـرء في أهدافـه فإنمـا يـدلّ ذلـك عـلى دناءتـه وحقارتـه. لابـدّ أن يكـون هدفـك أقـصى مـا يكـون كـما يلزمـك أن تخصـص وقتـا في نمـط حياتـك لتعزيـز هدفـك والالتفـات إليـه وتعليمـه. وليـس هـذا الهـدف أقـلّ مـن لقـاء اللـه ولا أنـزل مـن فتـح المعـاد والقمـم الرفيعـة في الجنّـة، ولا أقـل مـن ظهـور المهـدي المنتظر(عـج) ولا أخفـض مـن إنقـاذ البـشر، ولا أقـل مـن اسـتئصال الظلـم في العـالم وتوفـير الرفـاه لجميـع شـعوب العـالم.

إذ لا يمكن التمتع بحياة سليمة من دون إنقاذ العالم، حتى مع مراعاة الأصول الستّة السابقة التي أحصيناها لنمط الحياة الصحيح. العالم مترابط بعضه ببعض، فلا يسمحوا لك الطغاة بأن تعيش حياة سليمة، بل يقضون عليك، أو لعلّهم يواترون دس المندسّين بين رجالك السياسيّين لكي يتعذر عليك أن تكون مستقلّا وعزيزا ورياديّا ومفكّرا. نمط الحياة الصحيح هو الذي ينطوي على هدف عالٍ. ومن أراد اتخاذ هدف عالٍ سيصل لا محالة إلى الله. إن أردت لوم أحد فلم الله عز وجل لكونه في غاية العلوّ وكذلك لم الإنسان إذ لا يقنع بحدّ أبدا! من اتخذ هدفا أقل من «قرب الله» فهدفه قليل دانٍ، كما أنه لن يفلح في الأصول الستّة الأولى أيضا، إذ لن ينفك عن هذا السؤال طيلة عمله، وهو «ما السبب من إنجازك هذه الأعمال؟ وما هو الهدف الذي تصبو إليه؟» ما لم يأتك حبّ الله وحبّ ولي الله ولم يأخذ بيدك ولم يرشدك لن يسعك أن تبلغ شيئا وتفوز بشيء، فلا يمكن ذلك من دون الله! أسمى هدف هو الله سبحانه! كما قال تعالى: (يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقيه) [الانشقاق/٦] أيها الإنسان شئت أم أبيت فإنك صائر إلى الله سبحانه بمعاناة ثم تلقى الله وأي عناء سوف تقاسيه في هذا الطريق!

لابدّ أن ننهض وننتفض في سبيل الاقتصاد المقاوم/ إن نكن متحدين ومنسجمين في شرواتنا سنصبح قوّة اقتصادية عظمى!

لابدّ أن ننهض وننتفض في سبيل الاقتصاد المقاوم! من الأعمال المهمّة لهذا الغرض هو «أن نقرّر معا ونحدد من أي معمل ومصنع نشتري بضائعنا». من تكاليفنا الثورية بل الشرعية هي أن نوحّد آراءنا في اختيار البضائع وشرائها وندعم المعامل والمصانع المختارة عبر تطبيق أو هاشتاق مثلا ونساهم بذلك في دعم المعامل الجيّدة. هناك معمل لإحدى الدول التي ساندت الدواعش كثيرا. فكان المفترض أن يحتلّ هذا المعمل ـ وفقا للقانون ـ ٢٥ بالمئة من سوق الحفاظات في البلد، أما الآن فعن طريق أكل الريع ومساعدة أحد النوّاب في المجلس الشورى، سيطر على ٦٥ بالمئة من السوق ثم حظي بما شاء الله من الريع الحكومي حتى استطاع أن يقبض السوق ويكسر بعض معامل الحفاظات والمناديل الورقية. في ميسورنا أن نكوّن معاً أعظم القوى! إن أعداءنا يستغلّون تبعثرنا أيما استغلال ويلحقون بنا صدمات. نحن نمثّل قوّة عظمى ولكنّنا لسنا معًا، إذ هناك مانع في البين. ليس لك أن تتسوّق من أي مكان شئت!

إن عزمنا على أن نتسوّق «معاً» أتدري ما سيحدث؟ سنصبح قوّة اقتصاديّة عظمى. فانظروا على سبيل المثال من أين اشتريتم أقمصتكم السوداء. إن كنتم تشترون كلّ عام قميصاً واحداً، فانظروا وحدّدوا معاً المعملَ الإنتاجيّ الذي تشترون منه أقمصتكم. قدّروا كم مبلغ خمسة ملايين قميصٍ؟ وكم معملاً أو مصنعاً إنتاجيّا يتسنّى إنشاؤه بهذا المبلغ؟ أترون أي قوّة نحن! لسنا أصحاب رؤوس الأموال ولكننا مشترون على أقل تقدير! لقد أسمى سماحة السيد القائد هذا العام بسم «دعم البضائع الإيرانية» وقال ما مضمونه: في الأعوام السابقة كانت شعارات السنة تعني الدولة أمّا في هذه السنة فهي تعني الدولة والشعب معا!» فإنّ الناس إذا وحّدوا سلوكهم في الشراء يسعهم أن يقضوا على التهريب! الآن ومع هذه الموانع الموجودة في الدولة والمجلس كاد القضاء على التهريب أن يكون مستحيلا، فأنتم الحل!

لا نسمح للعدو بأن يربح عن طريقنا

لا يجوز أن نسمح لمن لا دين له أن يربح عن طريقنا؛ فضلا عن أن يكون عدوّا! إن أصحاب أسهم بعض مصانع الزيت في إيران هم أولئك الذين يقصفون اليمن يوميّا! بإمكاننا أن نتخذ قرارا صارما معا ونغلق مصانعهم بلا حاجة إلى الدولة أو القضاء أو القوة العسكرية، لا يعوزنا إلا أن نصبح «نحن». لا تتساهلوا وتجانبوا التقوى عند شراء هذه البضائع ولا تقولوا: «دعنا فالأمر ليس بمهمّ!» القرآن يقول: أيها المؤمنون قاوموا فرادى وقاوموا معا واشحذوا هممكم واتقوا؛ (يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [آلعمران/٢٠٠] تبضّعوا معا ولا تجانبوا التقوى! يتبضّع الصهاينة معا ويبيعون معا، كأنهم لا يعترفون بالملكية بينهم، ولذلك لا يهزمون اقتصاديّا. هم يداولون الأموال بينهم ويتفوّقون دائما. لقد انتهى شعار «الموت لإسرائيل» اليوم إلى قضايا ضيّقة وحساسة! نحن بحاجة إلى حركة اجتماعية؛ «حركة التحوّل الاجتماعية في نمط الحياة وأسلوب الحكم»! ومن أجل أن نغيّر نمط حياتنا نحتاج إلى تحول في مدراء الحكومة وأسلوب الحكم. نحن بحاجة إلى حركة اجتماعية؛ بحيث لا نسجل أولادنا في المدرسة التي لا تنتمي إلى هذه الحركة، ولا نصلّي في المسجد الذي لا ينتمي إلى هذه الحركة، ولا نشتري من المعمل الذي لا ينتمي إلى هذه الحركة. لماذا يعدّ لنا الصهاينة المجرمون القساة وثيقة ٢٠٣٠ أما نحن الحوزويّون والجامعيّون غير أكفاء لإعداد وثيقة؟! وثيقة حركة التحوّل الاجتماعية في نمط الحياة.

لنعـد برنامجـا كحـد أدنى لتبضّعنـا ونوحّـد سياسـتنا في الـشراء. بإمكانكـم أن تسـتخدموا هـذه الجـوّالات والتطبيقـات للتواصـل معـا لتكويـن جمـع متحـد ومنسـجم.

كيف نجتمع معا من أجل عمل اقتصادي تنظيمي؟! راجعوا كتاب «شذرات المعارف»

كيـف نجتمـع معـا مـن أجـل إنشـاء عمـل اقتصـادي تنظيمـي؟ قدّمـوا المؤمنـين الذيـن تثقـون بهـم قـادةً ورؤسـاء. فـماذا إن خانـوا؟ قدمـوا غيرهـم! فـلا منـاص مـن تسـيير العمـل وإنجـازه. نحـن اليـوم نعيـش حربـا اقتصاديـة. وقـد صرّح سـماحة السـيد القائـد أكـثر مـن عـشر مـرّات بأننـا في حـرب اقتصاديـة. فأيـن أنـت؟ وأيـن هيئتـك ومسـجدك؟ أنـت في زمـرة أي جمـع متديّـن وفي أي حـيّ؟ اجمعـوا أصدقاءكـم وليـس تواصـل هـذه الحلقـات في جميـع أنحـاء البلـد بأمـر عسـير. فمـن السـهولة تنظيـم عـشرة ملايـين مـن جميـع أنحـاء البلـد. وليـس عليكـم إلا أن تعيّنـوا رؤسـاء المجموعـات! راجعـوا كتـاب «شـذرات المعـارف» لآيـة اللـه الشـيخ الشـاه آبـادي (ره) أسـتاذ السـيد الإمـام(ره) في العرفـان، فقـد قـال الشـيخ هنـاك بالتفصيـل أن نظمـوا أنفسـكم حتـى ولـو كنتـم في فـرق قليلـة العـدد. كـما ذكـر مواصفـات اللجنـة الرئاسـيّة! ومـن المؤكـد أن قـد تـبرز مشـاكل في مسـار العمـل ولكنّهـا قابلـة للعـلاج.

بسم الله الرحمن الرحيم

نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة١١)

عليرضا بناهيان

PANAHIAN.NET

الزمان: شهر المحرّم ١٤٣٣

المكان: مهديّة طهران

الموضوع: نمط الحياة أوقع تأثيرا من العلم والإيمان (المحاضرة١١)

الموانع العظيمة الخمسة أمام حركة التجارة والاقتصاد في البلد/ الطاغوت يضعّف الناس والدين يقوّيهم/ كيف يقوى المستضعفون في آخر الزمان؟/ إن مشروع "الخروج من الاستضعاف" في ساحة الاقتصاد هو سياسة "الاقتصاد المقاوم"/ الاقتصاد المقاوم يعني شعبنة الاقتصاد/ بعد شعبنة الاقتصاد تتقلّص فرص أكل الريع والسرقة تلقائيّا/ أحد إشكالاتنا تعزيز أدبيات العدالة بدلا عن أدبيات المقاومة

إليكم أهمّ المقاطع من المجلس الحادي عشر من سلسلة محاضرات علي رضا بناهيان في جامعة الإمام الصادق(ع) تحت عنوان «نمط الحياة، أوقع تأثيرا من العلم والإيمان»:

"محاربة الطاغوت" وعبادة الله وجهان لعملة واحدة/ لقد فسّرت بعثة الأنبياء غالبًا كقضيّة عقائدية بحتة، وهذا ما أدّى إلى تحريف الدين وتبلور بوادر العلمانيّة

يستوقفنا في القرآن الكريم مفهوما «الاستضعاف» و «الاستكبار» أو «الطاغوت» ولهما أهمية بالغة على مدى تاريخ الإسلام من بعثة النبي(ص) إلى ظهور الإمام المنتظر(عج). عند بعثة النبي(ص) تحدثت الآيات المنزَلَة حينئذ عن طغيان الإنسان؛ (إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى) [العلق/٦] كما أنها ذكرت طغيان فرعون عند بعثة النبي موسى(ع)؛ (اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى) [طه/٢٤] وكأن الأنبياء إنما يبعثون ليواجهوا الطغيان! (وَ لَقَدْ بَعَثْنا فى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل/٣٦] ولكن للأسف قد فسّرت بعثة الأنبياء غالبًا كقضيّة عقائدية بحتة، وهذا ما أدّى إلى تحريف الدين وتبلور بوادر العلمانيّة. إذا أعطي كتاب أصول العقائد لامرء كأول كتاب تعليمي دينيّ، ثم لم يُذكر فيه محاربة الطاغوت كالوجه الآخر لـ (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ) فهذا تحريف غير مباشرللدين!

الطاغوت يضعّف الناس والدين يقويّهم

من المقدّر في آخر الزمان أن يحكم المستضعفون، وذلك يعني انتهاء عصر الاستضعاف وشوط سلطة الطاغوت. ولكن ما الذي يفعله الطواغيت؟ إنهم يطغون فيستضعفون جماعةً من الناس ويجعلونهم مستضعفين. أما الدين فماذا يفعل؟ إنه يهدف إلى تقوية الناس! لا تقولوا: «إن الدين يجهّز الناس بالعقيدة الصحيحة ثمّ يأخذ بأيديهم إلى الله!» أوهل الدين أمر خياليّ موهوم؟ فلنكن واقعيّين! ليس بإمكان نبيّ أن يوصل الناس إلى الله من دون «مواجهة الطاغوت» و «القضاء على الاستضعاف» و «الصراع مع الاستكبار». إن تصدّي الدين للقضايا الاجتماعية أمر واضح جدّا.

كيف يقوى المستضعفون في آخر الزمان؟/ إن مشروع "الخروج من الاستضعاف" في ساحة الاقتصاد هو سياسة "الاقتصاد المقاوم"

يقوى المستضعفون في آخر الزمان، ولكن كيف؟ كيف يرثون الأرض؟ هل أنهم سيرثون الأرض في ذروة ضعفهم ومن دون أن يكتسبوا أيّ لياقة أو قوّة؟! أوهل يعقل ذلك؟ أن يرث المستضعفون الأرض، يعني أنهم يتركون استضعافهم، أي يصبحون أقوياء! فليس من المقدّر أن يأتي إمام قويّ مع ٣١٣ قائد قوي ليتولّوا جمهورًا ضعيفًا. فإن هذا لا يمثّل تصوّرًا صحيحًا عن القضيّة المهدويّة والظهور. يجب أن يكون نمط حياتنا بحيث نصبح أناسًا أقوياء. لابدّ أن يقوى المستضعفون روحيّا وفكريّا وثقافيّا واقتصاديّا. إن مشروع «الخروج من الاستضعاف» في ساحة الاقتصاد الآن هو سياسة «الاقتصاد المقاوم». الاقتصاد المقاوم يقول: يجب أن يقوى المجتمع اقتصاديّا بحيث لا تلحق به صدمات.

الاقتصاد المقاوم يعني شعبنة الاقتصاد/ فمن أجل تحقيق الاقتصاد المقاوم، يجب تقليص تدخّل الحكومة في العملية الاقتصادية

الاقتصاد المقاوم في جملة واحدة يعني شعبنة الاقتصاد. فما الطغيان في هذه الساحة؟ أحد معالمه هو تدخّل الحكوة في إدارة شؤون المجتمع. فمن أجل تحقيق الاقتصاد المقاوم، يجب تقليص تدخّل الحكومة في العمليّة الاقتصاديّة وتُسَلَّم الأمور إلى الشعب. ليس الاقتصاد المقاوم شعارًا قيميّا، بل هو أمر عقلاني، ومقتضى التنافس في ساحة المباراة مع القوى الاقتصادية المستقلّة في العالم! فلا يمكن أن نقوى إلا إذا كنّا مستقلّين! والبلدان المستقلّة والقويّة في العالم كلّها تحظى بالاقتصاد المقاوم! لا واحدة من حكوماتنا السابقة قد استطاعت أن تحقق الأصل الـ ٤٤ من الدستور الأساسي. وأما مجلس الشورى الإسلامي فقد تصرّف للإسف بلا مراعاة لمصلحة الشعب، بحيث عندما ناقشوا قانون شفافية آراء النواب، وعلى الرغم من وعد ٢٠٠ نائب بالتصويت على هذا القانون، لم يصوّت عليه أحد التيّارات السياسيّة وأزاله من جدول الأعمال، فأصبحنا مرّة أخرى من البلدان المتخلّفة من جهة شفافيّة أصوات المجلس. فلا تتوقّعوا أن تقفوا أمام أكل الريع في الحكومة ببساطة، بواسطة نوّاب يرغبون في التخفّي والاختباء! هذا يعني أن الناس غرباء وأجانب! لماذا يرغبون في إخفاء أصواتهم؟! لا تتوقّعوا من بلد لا يحظى بمجلس شفّاف أن يكون اقتصاده شعبيًّا!

بعد شعبنة الاقتصاد تتقلّص فرص أكل الريع والسرقة تلقائيّا

العـدل ومخالفـة الظلـم أمـر جيّـد، ولكـن ليـس معنـاه أن نعمـد إلى اعتقـال الـسرّاق وحسـب! فبـدلا مـن أن نلاحـق الـسرّاق دومًـا، يجـب أن نتجهّـز بهيـاكل اقتصاديـة لا تنتـج سرّاق وتغلـق بـاب أكل الريـع. فـإذا كل شيء كان حكوميًّـا فـلا جـدوى مـن نصيحـة رجـال الدولـة أن لا يعبثـوا فسـادًا. إن قَـوِيَ النـاس في الاقتصـاد وإدارة البلـد، لـن تنفسـح أرضيـة أكل الريـع لنضطـرّ إلى ملاحقـة الـسرّاق. أكـثر خـبر مفـرح وجـذّاب للشـباب الثوريّـين وطـلّاب العدالـة ليـس اعتقـال السـارق، وإنمـا خـبر بـدء نشـاط معمـل أو صـدور إجـازة معمـل، والـذي بـات أمـرًا صعبًـا جـدًّا.

أحد إشكالاتنا تعزيز أدبيات العدالة بدلا عن أدبيات المقاومة

أحـد إشـكالاتنا تعزيـز أدبيّـات العدالـة بـدلًا عـن أدبيّـات المقاومـة، فـإن المقاومـة أهـمّ مـن المطالبـة بالعدالـة. لأن الظلـم قـد يوجـد في كلّ مـكان، أمـا المهـم أن لا نكـون ضعفـاء لـكي لا يجـرأ أحـد عـلى ظلمنـا. لذلـك ينبغـي زيـادة أدبيّـات المقاومـة وأن نـزداد بهـا اهتمامًـا. يجـب أن يقـوى النـاس اقتصاديًّـا، فـإن أصبحـوا كذلـك زال جانـب مـن الاسـتضعاف. إذا كان تدخّـل الدولـة بهـذا المسـتوى الـذي هـي عليـه، وإذا كان قانـون التجـارة ضعيفـا بهـذا المسـتوى الـذي هـو عليـه، فحتـى لـو كان القضـاء أقـوى، لـن يسـتطيع أن يقـف أمـام أكل الريـع.

يجب في الجهاد الاقتصادي أن نعتني بتقوية الإنتاج أكثر من اعتقال السرّاق

يقـول القـرآن الكريـم: (يـا أَيُّهَـا الَّذيـنَ آمَنُـوا هَـلْ أَدُلُّكُـمْ عَـلى تِجـارَةٍ تُنْجيكُـم مِـنْ عَـذابٍ أَليـم * تُجاهِـدُونَ في سَـبيلِ اللَّـهِ بِأَمْوالِكـم وَ أَنفُسِـكُم) [الصـف/١٠] لا يقتـضي الجهـاد الاقتصـادي أن نلاحـق الـسرّاق فحسـب، بـل يجـب أن نهـدف إلى الإنتـاج، فهـذا أولى. عـلى النـاس أن يشـاركوا في الاقتصـاد ولكن هـل الدولـة تسـمح يـا تـرى؟ هل القوانـين والنظامات تسـمح؟ البعض يقـول: لا تدعم الدولـة ولا القوانين حركـة الإنتـاج والتجـارة! طيـب فلنقـم جميعًـا بالحـقّ ونقـم بجهـاد اقتصـادي، كـما أمـر بذلـك القـرآن: (قُلْ إِنَّمـا أَعِظُكُـمْ بِواحِـدَةٍ أَنْ تَقُومُـوا لِلَّـهِ مَثْنـى وَ فُـرادى) [سـبأ/٤٦] يقـول اللـه عز وجـل: (لَقَدْ أَرْسَـلْنا رُسُـلَنا بِالْبَيِّنـاتِ وَ أَنْزَلْنـا مَعَهُـمُ الْكِتـابَ وَ الْميـزانَ لِيَقُـومَ النَّـاسُ بِالْقِسْـطِ) [الحديـد/٢٥] لا يقول «ليقوم الأنبيـاء بالقسـط» لأن القسـط أمـر شـعبي والعدالـة قضيّـة شـعبية فلابـد أن يتصـدّى لها الناس أنفسـهم. نعـم كلّ مـا في ذلـك أن الأنبيـاء يهـدون هـذه الحركـة ويحـدّدون قواعدهـا وضوابطهـا ويشـحنون النـاس بالحافـز الـلازم لهـا ويراقبونهـا مـن منصـب الولايـة، أما إجـراء القسـط فهـو مسـؤولية على عاتـق الناس.

قال الإمام الراحل في بداية الستّينات: «يجب أن تكون الحكومة بحيث إذا سقطت، يُفجَع الناس ويعيشون أيام حداد ويقومون لحفظها» [صحيفة الإمام(الفارسية)/ج١/ص١١٧] وكذلك قال: «أما إذا انفصلوا عن الناس، يفرح الشعب بتورّطها ويطفّف في العمل ويتهرّب من دفع الضرائب، بينما إذا اتحدوا فحينئذ يبيع الناس البساط الذي تحت أقدامهم عند اللزوم ويقدّمونه للحكومة!» [صحيفة الإمام(الفارسية)/ج١/ص١٢٣]

الآن إذا أشارت الحكومة على الناس بأن لا يشتروا دولارًا، هل يستجيبون؟! لماذا؟

وكذلك قال (ره) في بداية انتصار الثورة: «أحد أسباب ضعف الدول الإسلامية عدم التفاهم بين الحكومات وبين الشعوب. الحكومة قد نأت بنفسها عن الشعب والشعب قد أساء الظنّ بها؛ فلذلك إن تورّطت حكومة في مشكلة اقتصادية، لم يساعدها الشعب في حلّها أبدا. الحكومات إذا أحسنت التعامل مع الشعب، لن يصاب أحدهما بمشكلة» [صحيفة الإمام(الفارسية)/ج٩/ص٢٥٠] الآن إذا أشارت الحكومة على الناس بأن لا يشتروا دولارًا، هل يستجيبون؟! هذا في حين أن الحكومة يجب أن تقدر على مصارحة الناس وتترجّاهم أن يبيعوا دولاراتهم لينخفض سعره. حكومة بأربع وعشرين صوتا تقول للناس: «لا تسجلوا لاستلام الدعم الحكومي» وإذا الجميع يسجّل! ما هو السبب؟ عندما يراكم الناس متأخرين في شفافية العقود الحكومية عن دولتنا الجارة أفغانستان، كيف يساعدوكم؟! إذا أصبحتم في الرتبة الخامس والسبعين بين البلدان في شفافية الميزانية، فكيف يساعدكم الناس؟!

قال الإمام الخميني(ره): كما انتصرنا في الحرب بمشاركة الناس، فأشركوهم في التجارة أيضا

قال السيد الإمام(ره): «إذا كان الشعب بعيدا عن الحكومة، وأرادت الحكومة أن تستثمر الشعب وتحلبه، هنا تتبلور الدكتاتوريّة... إذا شعرتم يومًا بأنكم تودّون أن تضغطوا على الشعب فاعلموا بأنكم على وشك الدكتاتوريّة. واعلموا حينئذ أن الشعب قد رغب عنكم. ما دام الناس حاضرين ويساعدونكم [فأنتم على خير] لولا الناس لما استطعتم أن تديروا هذه الحرب» [صحيفة الإمام(الفارسية)/ج١٨/ص٧٩] وقال أيضا: «أشركوا الشعب في جميع الأمور، فإن الحكومة لا تقدر وحدها أن ترفع هذا الحِملَ الذي على عاتق الناس... كما انتصرتم بحمد الله في هذه الحرب بمشاركة الناس وستزدادون نصرًا، بإمكانكم أن تديروا شؤون البلد بمشاركتهم أيضا. أشركوهم في التجارة وأشركوهم في جميع الأمور. أشركوا الناس في الثقافة، وإذا أرادوا أن ينشئوا مدارس فلا تعرقلوا الأمر عليهم. نعم لابد من الإشراف ولابد من النقد ولكن لا تعرقلوا أمرهم.» [صحيفة الإمام(الفارسية)/ج٢٠/ص٥٦]

الموانع العظيمة الخمسة أمام حركة التجارة والاقتصاد في البلد/ ١. قانون النقود والمصارف في البلد

ما الذي يجب علينا الآن؟ وما هي الثغرات التي يلزم سدّها في الاقتصاد؟ لماذا لا تمشي حركة التجارة والعمل في البلد جيّدا؟ لقد حدّد علماء الاقتصاد خمسة موانع عظيمة: المانع الأول: قانون النقود والمصارف في البلد والذي يجب أن يتغيّر. قانون النقود والمصارف لهذا البلد، يعود إلى الثمانينات، فكان من المقرّر أن يطبّق لفترة ثم يتم تعديله، ولكنه لا يزال على حاله السابق. فأين عقلاء مجتمعنا؟! كان من المقرّر أن يُجرى خمسَ سنين ثم يخضع لتعديلات، ولكنه لا يزال. ومشاكل المصارف أمام أعيننا! لماذا سمح قانون النقود والمصارف أن تُنشأ كل هذه المؤسسات تحت إشراف المصارف؟ أوهل كان من المقرّر أن يقوم المصارف بأعمال كهذه؟ لابد من إصلاح النظام المصرفي في البلد ولا علاقة لهذا المهمّ بهذا التيار أو ذاك.

٢.قانون العمل/ لا ينبغي لقانون العمل أن يضاعف روح العمل الوظيفي والعمالة في البلد

المانع الثاني، قانون العمل. أنا لا أرفض قانون العمل برمّته ولكن لا ينبغي لقانون العمل أن يضاعف روح العمل الوظيفي والعمالة في البلد. لابدّ لقانون العمل أن يدعم صاحب العمل الجيّد كما يدعم العامل الجيّد ويدعم العمل كما يدعمهما. الكل يشكي من مشاكل العمل وموانعه ولكن لا أحد يجرأ أو يعزم على تعديله.

٣.قانون الضرائب

المانع الثالث، قانون الضرائب. هناك ثغرة كبيرة في قانون الضرائب قد عالجوها في غير قليل من الدول. هناك قانون أقرّته دول كثيرة وهو: «الثروة الضخمة التي لم تَبذِل جهدا لها فلابد أن تدفع عليها ضرائب كبيرة» فعلى سبيل المثال إن كانت لديك قطعة أرض ثم مدّوا بجنبها شارعًا عريضًا فتضاعف سعرها بين ليلة وضحاها عشرات الأضعاف، هنا صاحبها لم يتعب على هذه الثروة بطبيعة الحال، فعليه أن يدفع ضرائب أكثر.

۴ و ۵. قانون التجارة وقوانين التأمين الاجتماعي/ التأمين الاجتماعي مفلس!

المانع الرابع، هو قانون التجارة الذي يعود إلى أواخر الستّينات. والمانع الخامس هو قوانين وضوابط التأمين الاجتماعي والتي هي فاجعة بمعنى الكلمة. ويمكننا القول بأنها تشكّل المانع الأكبر أمام حركة التجارة في البلد! أساسا قطاع التأمين الاجتماعي والتقاعد، بان فَشَلُه. يقولون: «أودِع إلينا أموالك، لنتاجر بها في هذه الشركات، لكي ندفع لك راتبًا بعد التقاعد» ولكن هذه الشركات متضرّرة ومفلسة. ولذلك بعد ما تتقاعد وأردت أن تستلم راتب التقاعد لا تحصل على مال موجود، إذ لم يحصل ربح أساسا.

قال الإمام(ره): لا تسلّموا زمام حياة الناس بيد موظّف!

أحد الوزراء الأوائل بعد انتصار الثورة كتب في مذكّراته: «سألتُ الإمام(ره): هل يجب أن تكون الصناعة والزراعة والتجارة بيد الحكومة أم بيد الناس؟ قال الإمام(ره): سلّموا الزراعة والإسكان والصناعة والتجارة إلى الناس. لم يكن الإسكان في ضمن سؤالي، ولكن الإمام أضافه. سألته إلى أي حد نسلّمها إليهم؟ قال: يجب أن تسلموها إليهم كلّها، والحكومة فلتشرف ولتضع قوانين وتهدي وتراقب... ثم قال: لا تسلّموا زمام حياة الناس بيد موظّف» [براى تاريخ مى‌گويم (أقول للتاريخ)، محسن رفيق دوست، ص٤٠٧] عندما نقول «يجب أن تصغر الحكومة» يتبادر إلى ذهن الكثير «تسليم الشركات وحسب»! كلا؛ فإن قضيّتنا لا تقتصر على هذه، بل يجب إصلاح تدخّل الحكومة الخاطئ في الاقتصاد.

أي مراحل طويناها لكي يصبح نظامنا شعبيّا؟

نحن ومن أجل أن نجعل نظامنا شعبيّا طوينا مراحل عدّة. المرحلة الأولى: أسقطنا نظامًا استكباريّا بطريقة شعبيّة. المرحلة الثانية: انتخبنا مسئولينا ووكلائنا بصورة شعبيّة، بغضّ النظر عن مدى صلاحهم، ولكن نحن الذين انتخبناهم على أيّ حال. طبعًا كلّما تمرّ السنين ونتقدّم أكثر يجب أن نصلح اختياراتنا لكي لا نخطئ في الانتخاب. قيّموا مدى عقل هذا الآدميّ الذي يقرأ بيانًا في مجلس الشورى الإسلامي ويقول: «سبب مشاكلنا هو أننا دخلنا في صراع مع العالم منذ انتصار الثورة! فلابدّ الآن من اجراء استفتاء لنعرف هل نواصل صراعنا أم نكفّ؟» وهل نحن نصارع العالم؟! هذه إحدى التهم التي لصقها البعض بالإمام(ره) في زمن حياته وعلى إثرها تمنّى الموت! هل مشاكلنا بسبب ما يُدّعى بأننا نصارع العالم أو أن قانون تجارتنا يفطن على الستّينات؟! أو أن ضوابط التأمين الاجتماعي الخاطئة والغير الشرعية لتوفير العمل هي التي أحدثت مشاكل؟

لقد دافعنا عن البلد شعبيّا ولكن لم نقم ببنائه شعبيّا

المرحلة الثالثة هي أننميما دافعنا عن البلد شعبيّا. وفي المرحلة التالية، كان ينبغي أن نبني البلد شعبيّا ولكن لم نفعل ذلك. لم تسمح الأنظمة والهياكل بأن نباشر بناء البلد بنفس النمط الشعبي. لابد أن نحظى بحياة ومدينة ووزارة للتربية والتعليم بحيث يصبو الجميع لتقوية الاقتصاد عن طريق الناس. لعل وزارة التربية والتعليم يجب أن تتقدّم وتكون هي الرائدة.

٤٥٪ من الفساد في العالم يُكشَف عن طريق الناس/ أما في بلدنا فقد تمّ تفويض الأجهزة الرقابية في ذلك

لابدّ للإذاعة والتلفزيون أن تعالج موانع العمل والتجارة دائما، فلا ينبغي إيكال كل شيء للقضاء. يُكشَف الآن ٤٥٪ من الفساد في العالم عن طريق الناس و١٠٪ من الفساد تكشفه الأجهزة الرقابية. بينما في بلدنا فقد تم تفويض الأجهزة الرقابية في كشف أكثر الفساد. نحن لم نحدد نظامًا جيّدا لكشف الفساد. في البلدان الأخرى يشجّعون على كشف الفساد ويكافئون عليه ويقولون: «أي موظّف أو عامل كشف فسادًا في عقد ما، نكافئه بما يتناسب مع حجم الفساد الذي كشفه، كما يُحفَظ اسمه ليأمن شرّ من فضحهم.» إن لم نباشر عملا اقتصاديّا وبقينا ضعفاء فما الفائدة بعد ذلك في هتافنا بالموت لإسرائيل. نحن إن بقينا ضعفاء وانتصر العدوّ في الحرب الاقتصادية، سننتهي إلى كربلاء أفجع!